إلى القارئ

عاشت تونس فى الشهر المنصرم حدثا هاما فى حياتها المستقلة ، وقطعت مرحلة فى سعيها الى الازدهار الشامل ، والكرامة الكاملة • ذلك أن رئيس الدولة وقع يوم 12 ماى قانونا يقضى باسترجاع جميع الأراضى التى على ملك المعمرين أو الشركات الأجنبية ، بعد ثلاث وثمانين سنة بالضبط من انتصاب الحماية المقيتة ، وفى الساعة ذاتها التى وقع فيها الصادق باى معاهدة باردو ، وعلى المكتب نفسه •

وما الحفل الذى انتظم آنذاك ، وعم فيه البشر جميع الوجوه ، الا تعبير عن جلالة هذا الحدث ، وأثره الكبير فى نفوس المواطنين ، وانعكاساته العظيمة على اقتصاد البلاد ؛ اذ أن الداء الذى كان ينخر جسم تونس طيلة عهد الاستعمار مأتاه فى معظمه هذه الأراضى التى اغتصبها المعمرون ، وجعلوها قاعدة لتعسفهم وتهجماتهم على أبناء البلاد •

فبهذا القانون اجتث من الأصل الداء الوبيل وطويت صفحة سوداء من حياة هذه الأرض الكريمة • وهى صفحة ـ بل صفحات ـ مليئة بالأحداث ، غريبة الأطوار ، من المفروض أن نعرض عنها ونقبل على الغد الأسعد الذى ينتظرنا • ولكن عملنا لن يكون متصل الحلقات ، راسخ البنيان الا اذا التفتنا الى هذا الماضى ـ الذى عانى منه آباؤنا واخواننا قبلنا الويلات ـ نستخلص منه العبر ، ونوضح معالمه ونستكشف مظانه •

وهو عبء يحس بثقله المسؤولون على حظوظ هذه البلاد ، ويقدر خطره رجال الفكر والأدب الذين يشعرون بعظيم مسؤوليتهم أمام الأجيال الصاعدة التى تحتاج الى مزيد من التأصل ، وفضل من رسوخ القدم بهذه الأرض حتى يحبوها كأنفسهم ، ويستمدوا منها قوتهم ، ويغذوا بها أرواحهم ، ويشعروا بفضلها على من حولهم ، وتكون لهم بمثابة نقطة الارتكاز التى منها ينطلقون ليلتقوا بالانسانية جمعاء ويعانقوا البشرية فى أسمى ما تتحلى به من قيم ، وأعمق ما ترسمه لنفسها من آمال •

لذا فلم يبق للمؤرخين والقصاصين والشعراء وكتاب المسرحية ورجال الأدب جميعا الا ان ينكبوا على صفحات كتاب هذه الأرض تنقيبا ودرسا : يستقصون أخباره ، ويتعمقون فى مآسيه ، ويحلقون فى أجوائه الانسانية ، ويتمثلون مواقف أبطاله وضحاياه •

ولا نخالهم الا فاعلين •

الفكر

التخلف والاشتراكية

بقلم : الدكتور عبد المجيد رزق الله

يفصل بيننا وبين المؤتمر المقبل للحزب الحر الدستوري التونسي ، الذى سيدرس تجربتنا الاشتراكية ، بضعة اسابيع فلا بد لنا ، وقد اوشكنا على انجاز المخطط الثلاثي التمهيدي وعلى الدخول فى المخطط الرباعي الموالى ، من استخلاص العبر من هذه التجربة التى غيرت مفاهيمنا الاقتصادية والاجتماعية التقليدية الموروثة ووضعت مكانها مفاهيم اخرى اكثر نجاعة لبناء مجتمعنا الجديد •

والملاحظ فى هذا الشأن اننا ، وان نحن آمنا بالمبادىء الاشتراكية الرامية أساسا الى توفير الانتاج وتوزيعه توزيعا عادلا ، فاننا لم نقلد غيرنا من البلدان فى تطبيق الاشتراكية ، بل توخينا سبيلا تتماشى مع اوضاعنا الخاصة ومنبثقة من مبادىء حزبنا مما جعلنا نطلق على اشتراكيتنا اسم «الاشتراكية الدستورية»

لماذا الاشتراكية ؟

وبعد ، فلماذا الاشتراكية ؟ مما لا شك فيه ان الاشتراكية ، علاوة على اعتبارها كرد فعل ضد الظلم الاجتماعي وكنتيجة للتطور التاريخي للمجتمعات، هى انجع وسيلة للخروج من التخلف وتحقيق التنمية الاقتصادية والتطور الاجتماعي •

فالتخلف يمتاز بالخصوص بعدد من مظاهر اختلال التوازن الاقتصادى والاجتماعي : فهنالك اختلال بين عدد السكان والثروة ، واختلال بين مختلف القطاعات الاقتصادية من فلاحة وصناعة وتجارة واختلال بين امكانيات الثروة وما تهيأ لها من اسباب الاستثمار كحسن التدبير ورأس المال والإطارات الفنية الضرورية وغيرها •

والخروج من التخلف يستوجب توفير الانتاج الذى لا يمكن ان يتحقق فى نطاق الحرية المطلقة والفردية المتطرفة بل بالعمل الجماعي وتوجيه الدولة التي عليها ان تسهر على اشباع حاجيات عموم المواطنين •

ولم يبق هناك شك فى حتمية الحل الاشتراكى باعتباره انجع طريقة للنمو الاقتصادى والتطور الاجتماعى وطى المراحل ، هذا فضلا عن ان تنظيم الاقتصاد وتوجيهه اصبح يؤمن به الذين يقولون ، فى القرن الماضى بالحرية الاقتصادية المطلقة أنفسهم وذلك بسبب الانعكاسات الاجتماعية التى فرضها تطور البشرية ، وكذلك فضلا عن ان الحرية المطلقة قد ينتج عنها انقسام الشعب الى طبقة غنية متخمة واخرى فقيرة محرومة بما فى ذلك من منافاة للعدالة الاجتماعية التى أصبحت تنشدها البشرية جمعاء

الاشتراكية تحتمها الاخلاق :

ان اى نظام للمجتمع يجب ان يكفل للفرد **كرامته الانسانية** وذلك يعنى ان هذا النظام يجب ان يضع الاسس الكفيلة بان يتحرر الفرد من كل انواع الاستعباد والاستغلال ، وان يتحرر من الفقر والجوع والجهل والمرض • كما يعنى ذلك ايضاً ان هذا النظام يجب ان يوجد الاحوال الملائمة التى يمكن فيها لاى فرد ان يستغل مؤهلاته وامكانياته احسن استغلال •

وبعبارة اخرى ان اى نظام للمجتمع يجب ان يحقق للفرد العدل والمساواة اى ان يضمن له عددا من الحقوق منها الاجتماعية كحق الصحة والتعليم ، ومنها الاقتصادية كحق العمل والارتزاق •

الا ان هذه الحقوق تقابلها واجبات فالفرد ليس غاية فى ذاته فحسب بل هو وسيلة ايضا وتحرر الفرد من الاستعباد والاستغلال يجب ان يمكنه من اطلاق الطاقة الكامنة فيه ، ومن تحريك قواه الذاتية وتشغيلها فى ما ينفعه وينفع المجتمع على حد السواء • وكذلك استغلال مؤهلات الفرد وامكانياته يجب ان يكون لمصلحته ومصلحة المجتمع معا •

بهذه الطريقة يمكن خلق أمة حية مسؤولة قائمة بواجبها مقدمة للحضارة ما امكنها ان تقدم مؤدية رسالتها التى تؤهلها لها امكانياتها وظروفها •

الاشتراكية يحتمها العقل :

على ان الاشتراكية لم تحتمها الاخلاق ومنطق العدل والمساواة فحسب بل يحتمها ايضا العقل ومنطق التطور • وان ما حدث فى النصف الثانى من القرن الماضى وفى بداية القرن الحالى ، فى جميع بلدان العالم من انقسام كل شعب الى طبقة غنية متخمة واخرى فقيرة محرومة بسبب الفردية والراسمالية

المتطرفة ، لا يمكن ان يستمر اليوم لان ذلك قد يتسبب فى حرب اهلية وفى عدم استقرار النظام • وان استحالة اجتماع الثراء الفاحش والفقر المدقع فى بلاد واحدة ليست استحالة نظرية فحسب بل مادية ايضا قد فرضها التطور فى عدة ميادين•

فبفضل انتشار التعليم والوعى الحزبى وغيرهما من وسائل المعرفة الاخرى كالصحافة والاذاعة والتلفزة والسينما وسهولة السفر قد اختفى من العقول الجهل والخرافات التى كانت تجعل الاستسلام للحظ التعيس ممكنا ، كما صار من الميسور الاطلاع على ما يجرى فى البلدان الاخرى وخاصة المتقدمة منها ، واصبحت الاغلبية من المواطنين تدرك انه فى الامكان ابدال الفاقة بالرفاهية وذلك بالعلم والعمل وسياسة اجتماعية عادلة •

وما من شك فى انه لا سبيل الى الخروج من التخلف الا اذا آمنا باننا شركاء فى وطن واحد يحتم علينا التضامن والتعاون وبان المواطنين هم بمثابة ركاب سفينة واحدة اذا غرقت فانها تغرق بالجميع واذا طفت وسارت فانها تسير بالجميع•••

السبيل الى الاشتراكية :

فالاشتراكية حينئذ تتنافى مع الفردية ، كما ان خدمة المجتمع تتنافى مع سيطرة عامل الكسب على الاقتصاد • ولذا فان النظام الاشتراكى يقتضى تدخل الدولة لمنع الضرر الذى قد ينتج اما عن سوء تصرف الفرد كما يوجد ذلك عن جهل فى المجتمع المتخلف واما عن الاستغلال والحيف اللذين يسودان المجتمع الرأسمالى • وتدخل الدولة يهدف الى جعل المال وسيلة لخدمة المجتمع كله لا لخدمة اشخاص والى جعل امتلاك اى شخص للثروة محدودا باستعمال هذه الثروة لفائدة المجتمع •

ويتحقق تدخل الدولة بسياسة **التخطيط** وتنظيم الاقتصاد وتوجيهه والتخطيط كما يقول المجاهد الاكبر الرئيس الحبيب بورقيبة يرمى «الى السير قدما طبق حساب مضبوط نعرف منه الى اين نصل بعد عشر سنين ، ونعرف كم يصبح دخلنا اذ ذاك ، وكيف يتم توزيعه بالعدل والانصاف لفائدة الجميع وباحسن الطرق واقربها الى روح التعاون والتضامن والاشتراكية التى تكون منا عائلة واحدة وتجعلنا مشتركين مع بعضنا بعض فى السراء والضراء» •

فالتخطيط حينئذ يجعل الانتاج والتوزيع خاضعين لارادة الدولة استجابة الى الاهداف القومية واهداف المجموعة وموجهين نحو اهداف واضحة وبوسائل مضبوطة • وهو يرمى أساسا الى :

اولا : استثمار ثروة البلاد استثمارا صحيحا يؤدى الى الزيادة فى الدخل القومى .

ثانيا : حصر الجهود فى الانتاج الذى يهدف الى رفع مستوى معيشة المواطنين جميعا على ان يكون ذلك بوجوده مع انسجام ، قطاعات الانتاج الثلاثة : العام والتعاضدى والخاص .

ثالثا : توزيع الثروة بين الافراد توزيعا عادلا بحيث لا يدع لاحد الفرصة لاستغلال جهود الآخر .

والتخطيط وان هو وجد فى النظام الرأسمالى فانه يمتاز عنه فى النظام الاشتراكى بعدة نقط اهمها :

اولا : تأميم القطاعات الاقتصادية ذات الصبغة القومية كالطاقة والنقل والمناجم والمصانع الكبرى وغيرها .

ثانيا : تحقيق اقتصاد متوازن فى قطاعاته ومناطقه .

ثالثا : توفير الحاجات المادية والادبية لعموم المواطنين جماعات كانوا او افرادا .

رابعا : مساهمة عموم المواطنين من فلاحين وصناعين وتجار وعملة وغيرهم فى ضبط اهداف المخطط ووسائله والمشاركة فى انجازه .

على ان طريقة اشراف الدولة على هذا كله تختلف باختلاف الاوضاع ونوع الانتاج وحاجة السكان ومن هنا جاء تعدد السبل للوصول الى الاشتراكية ، فقد تكون احدى هاته السبل غير موصلة بالنسبة لمجتمع معين ولكنها قد تنجح فى مجتمع آخر نتيجة ظروفه التاريخية والواقعية ونتيجة لطبيعة افراد هذا المجتمع والعبرة بالنتائج .

ولهذه الاسباب فان نظرتنا للاشتراكية فى تونس كبلاد متخلفة اقتصاديا تختلف فى الاشتراكية التى ظهرت فى اوروبا نتيجة رد فعل ضد الثورة الصناعية . فهى اشتراكية لا تتخذ شكلا طبقيا لانها منبثقة من الحركة القومية الدستورية تلك الحركة التى يشارك فيها المواطنون كأمة والتى لم تكن ترمى الى التحرر السياسى فحسب بل الى رفع مستوى الشعب وتحقيق مجتمع لا استعباد ولا استغلال فيه ، مجتمع يقل فيه الفقر والتعاسة الفاحشة كما يقل فيه ايضا الثراء والترف الفاحش .

الاشتــراكية والديموقــراطية :

ولعل اهم مشكل يثيره التخطيط فى المجتمع الأشتــراكى هو موضــوع الحرية والديموقراطية · ويعيب انصار المذهب الفردى على الاشتراكية بانهــا تحد من الحرية كما يعيب انصار «القطاع الخاص» على الاقتصاد الجماعى والموجه بانه يحد من الوازع الشخصى لتوفير الانتاج والربح ، وبانه يقتل فى النفوس العزيمة على الابتكار · ولكن اى حرية يعنيها خصوم الاشتــراكية ؟ هــل هى حرية الاقوياء فى السيطرة على الضعفاء ؟ وهل هى حرية استغــلال اصحــاب رؤوس الاموال للطبقات الكادحة ؟ وهل هى ايضا حرية بث العداوة والشحناء والتطاحن التى تثيرها روح الاستغلال والمنافسة والاحتكار ؟ واين الحــرية من الفقر والجوع والجهل والمرض ؟ فى الحقيقة يجب وضع الحــرية لا فى نطاقهــا المطلق لانها تتنافى مع حياة المجتمع البشرى بــل فى نطاقهــا النسبى ، أى ان الحرية تقف عند الاضرار بمصالح الغير ·

على ان الحد من الحرية فى نظر المجــاهد الاكــبر الــرئيس الحبيب بــورقيبة والحزب لا يقصد منه القهر والارهاق والحقد والتطاحن بل يتــوخى التــوجيه الصحيح وسياسة الاقناع بالمناقشة الحرة النزيهة كما يجعل اعتبــار المصلحة العامة البعيدة فوق المصلحة الخاصة القريبة ، وذلك فى كنف الاخوة والتضامن والتعــاون ·

وخلاصة القول ان خاصية الاشتراكية الدستورية كما وصفها المجاهد الاكبر الرئيس الحبيب بورقيبة :

«هى كونها منبثقة من صميم الواقع التونسى ، ونابعة فى عقــول تــونسية تشبعت بحب الخير للجميع ونكران الذات وتجردت عن الشر والانتقــام وارادة الاذلال والاهانة للآخرين وهمها رفع مستوى الضعيف وتوفير اسباب الكرامة للجميع وايثار طرق الاقناع واعتبار الناس اسرة واحدة يتعاون افرادها فى ما بينهم على قدم المساواة ويتخلون عن البعض من حرياتهم لفائدة البعض الآخــر وتمثل الحكومة دور كبير الاسرة الذى لا يفرض ارادته فرضا وانما تعمل على ضبط مهمة الجماعة باعتبارها منبثقة من الشعب وتتشاور فى ذلك مع المنظمات القومية والجماعات الشعبية وكل الهيئات ثم تفــرض رأى الجمــاعة على الجمــاعة باعتبارها مسؤولة على تحقيق المصلحة العامة وفى نطاقها ، وهذا هو النظــام الديمقراطى الحقيقى الذى ندين به ونعمل بكــل جهــد واخــلاص على الاقنــاع بجــدواه» ·

الدكتور عبد المجيد رزق الله

عيد ميلادها

شعر : نور الدين صمود

عيدُ ميلادِكِ انْبِثاقُ شُعاعٍ يَمْلأُ الكَوْنَ بالسَّنَى اللَّمَّاعِ
فتَهُبُّ الطُّيورُ هَيْمَى نَشاوَى
وتَعُمُّ الوُجودَ بالايقاعِ

∴

عيدُ ميلادِكِ انْبِثاقةُ فَجْرٍ وزُهُورٌ تَفَتَّرَ في كُلِّ شِبْرِ
كابْتِساماتِ عالَمٍ عَبْقَرِيٍّ
غَمَرَتْ بالضِّياءِ آفاقَ عُمْري

∴

أنْتِ أقْبَلْتِ أمْ أتى نَيْسانُ يَمْلأُ الكَوْنَ سِحْرُهُ الفَتَّانُ
فَيَفيضُ الوُجودُ سِحْراً وعِطْراً
وتَضُوعُ الزُّهُورُ والالْحانُ ؟

انْتِ لَوْ لَمْ تَكُوني بعُمْري كانَ عُمْري مثلَ السَّرابِ بقَفْرْ
وَمُذ افْتَرَّ ثَغْرُكِ الحلْوُ لاحَتْ
بَسْمَةٌ سَرْمَدِيَّةٌ فَوْقَ ثَغْري

∴

أنتِ يَا نَفْحَةَ الشَّذَى والامانِي يالانْبِثاقَ الاضْواءِ والالْحانِ
أنتِ أغْلَى قَصائِدِ الكَوْنِ مَعْنًى
صَاغَها اللهُ مِنْ أرَقِّ المَعَانِي

∴

عيدُ ميلادِكِ الرَّقيقِ الرَّقيقُ سَكَبَ العِطْرَ والهَوَى في عُرُوقي
فَسَرَى في قَصائدي طَيْفُ سِحْرٍ
كَأساطيرِ شاعرٍ إغْريقي

نور الدين صمود

محاولة في تصنيف النثر

بقلم : البشير المجدوب

النثر ضروب وألوان تتعدد وتتباين ولكل منها تركيب ومزاج وأسلوب حياة، كشأن الشخصية، سواء بسواء، لها مذهب خاص وصورة خاصة في شتى مظاهر حركتها وسكونها.

نحن نقرأ بحواسنا وأعصابنا وبكياننا اللحم والدم كله، لا بأذهاننا فحسب وليس من المجاز في شيء أن نقول بأن للاساليب – عند المباشرة الصادقة والتجربة الحميمة – مذاقا ولونا وشكلا وقواما.

ففي بعضها، أحيانا، شيء من عذوبة الثمار وطراوة ملمسها وحسن مساغها، تقرأ وكأنك تنظر الى الثمرة استوت طيبا ونضجا وتفتحت شفتين تغريك لثما، كأنك تنهش اللحم منها مستأنيا، تريد أن تتغلغل الى لب طعمها وروح حلاوتها وتفوز بغاية سرها. واذا الاكل فن، وإذا في الغريزة قبس من الذكاء ولقاح من الخيال...

هي الثمرة في بداعتها وغرابة لذاذتها يهش الجسد كله لاستقبالها. عرس الأسنان والشفاه واللسان معا. وإن دمك لينبض ويتهلل سلفا، ويحمد لك هذه النعمة شوقا وارتياحا.

فهذا نثر الشهوة والحس أرضعته الارض بلبانها وأسكرته لذة الحياة.

كذا ! وفي بعض النثر شيء من بهجة الماء الجاري وصفائه وتلألئه في اليوم المشرق الساجي. ظلال وأنوار تنط وتتراقص ودوائر وفقاقيع تتشكل وتذوب، ولا يعوزك الا أن يهب النسيم موشوشا بين الاغصان، وانك لتكاد تحس بمره هادئا رقيقا وئيدا كأنه الخاطر لم يتجسد فهو يهيم...

لوحة تتردد بين الحقيقة والخيال مشتركة الطعم بينهما. نافذة نطل منها على الطبيعة في رقتها وجلالها، في إشراقها وخفائها. لغز قريب على بعده لا ينفك يغرينا ويدهشنا على الدوام.

هو النثر الحالم العذري، للطبيعة عنده وقار وحرمة، يهواهـا كهوى الصوفي للوجوه الحسـان، كما تهوى الصديقة تهمّ بها وتصرفك هيبة المسافة عنهـا.

ومن النثر أنموذج كمعابد الاغريق هندسة واعتدالا. رشاقة وبساطة هو الانسجام غاية الانسجام وانتفاء الفضول. وهو الجمال يتهادى ويتبرج عاريـا. ويزخر بالقوة سمحـا متواضعـا..

أو هو كالمعزوفة في ضبط إيقاعها وبديع تناسب أوزانها، على وفرة ألحانها وجيشان قوتها. لا لغو ولا اسفاف، لا فوضى ولا نشاز. وإنما هما النقيضان اتحدا. عناق المادة والروح. سلطان الضرورة وهيمنة الاختيار.

وكما تختلف الاساليب جوهرا وتركيبا كذلك هي تختلف في موقفها من القارىء بسطا وانطواء، يسرا وامتناعـا، صراحة وغموضا.

فمنها ما يمر بك مرا خفيفـا كمر الكرام كأنه لا يعرض لك ولا يعنيك، ثم هو يعود اليك ثانيا ويطيف بك ويلتف حولك شيئا فشيئا حتى يأسرك في شبكته الخفيـة، وإذا أنت من حيث لا تدرى تأنس به بعد إنكار وتقبل عليه بعد أعراض ويطيب لك الوقوف عنده والاسترسال إليه.

فهذا اللون ينفذ اليك نفوذا خفيا، لا اسراع ولا لجاجة، ولا يزال بك حتى يظفـر بصداقتك وودك، وبولائك وسرك.

وثمة صنف يواجهك رأسا ويقتحمك اقتحاما فأنت الهدف يقصده توا يريد أن يغزوه علانية، ولا مواربة ولا كتمـان، ويخف صوبك فيسلط عليك غاية وسائله وأقصى قواه يكاشفك بها متحديا ويضطرك الى الصراع اضطرارا، يقتضيك أن تتجمع وتشتد وترهف وتدق كأنك القوس المشدود أو الوتر العرد.

فهذا الصنف يأبى إلا أن يأخذ صاحبه عنوة ويبتز انتباهه فيستولي عليه وقهـــرا.

أسلوب يخاطب أعلى مواهبك فيك ويشدك الى أقصى أوتار ذهنك فاذا أنت السهم مترصدا للرميـة، أو الجواد قيدا لاوابد المعاني وشوارد الصور وهو لا يني يشغلك ويجهدك، ويضيق عليك حتى يستفرغ طاقتك ويبلغ منك الجهد. فتقف بين الفينة والفينـة لتستعيد أنفاسك وتستجمع قواك وهو مع ذلك يستحثك ويدفعك الى الامـام ويلح عليك بسياط رموزه ولهب معانيه يريدك أن تتسلق العقبـات وتتبوأ القمم. كأنما همه كل همه أن يشعرك بجهد الفن •

ومأساة الفكر — تشفيا منه وانتقاما — فيعيشك تجربة الخلق ويذيقك ما تجرعه من عسر المخاض وآلام الوضع.

إنها أصناف وأصناف وعبثا نروم أن نستوعبها أو نحصي لها عدا.

وبعد، فلست أعرف من بين ألفاظنا الشائعة المتداولة في لغة الادب لفظا أظلم لمفهومه وأجورَ على مسماه من كلمة النثر.

إنها صورة خاطئة، مضللة، محرفة للاصل الذي تزعم تمثيله لانها تخطر في الاذهان معاني سقيمة أبعد ما تكون عن الحقيقة المرموز اليها.

أليست هي توهم بالتفكك والتشتت بل التداعي والفوضى مع أن "للنثر" هندسة وموسيقى ونظما ونظاما.

النثر كلمة مفتعلة لم توضع لذاتها على أنها كائن مستقل، قائم بنفسه، إنما هي صيغت تابعة للشعر ظلا له وضدا.

وكفى دليلا على "هجنتها" ونبوها وجفائها أنها لم ترد على ألسنة العرب القدامى فهم أعلم بأسرار الكلام سواء المرسل منه والمنظوم والمسجوع والمزدوج.

ولست أتردد في القول بأن هذا الاصطلاح القاصر الابتر من صنع أولئك المحافظين المتزمتين الذين درجوا — تعصبا وتقليدا — على تقديس الشعر القديم يرون فيه المثل الاعلى للبلاغة العربية، أيام كانت دولة الادب في قبضة علماء اللغة والنحو وأضرابهم من رواة الشعر وحفظته، والفن براء من كل هؤلاء...

أو لعله من حسنات بعض الحذاق من العروضيين وإن علمهم بالادب — شعرا كان أو نثرا — لهو كعلم الحمير بمزايا الرقص والايقاع.

البشير المجدوب

ضيـــــاع

شعر : جعفر ماجد

هنا أنا ذا بين أمواج الزمان
لست أدري ما مكاني في المكان
أقتل اليوم الذي لا ينتهي
والغد الآتي مضى قبل الاوان
لا الدجى المحمر في آفاقه
لا خيوط الشمس سوداء البنان
تمسح الايام من عمري ولا
تصنع الاعمار من موت الثواني
في خضم الشوق ألقى الشوق بي
حيث لا تدري مداه ضفتان
ذا كياني راح يجتاح المدى
حين ظل الغيب يجتاح كياني
ألف صوت مثل هبات الشذى
يعبر الابعاد في ركب الحنان
زرقة البحر التي أشربتها
من عيوني لون ألفي مهرجان
لم تزل أنغامها ممتدة
وأنا والعمر فيها ضائعان

جعفر ماجد

هــل يموت الشعر؟

بقلم : عبد العزيز قاسم

سؤال رهيب يخيفني أردّده هنا حتى تتسرب عدوى هذا الخوف الى البقية الباقية من أنصار الشعر وهواته. هل يموت الشعر ؟ سؤال حائر تلقيه على المعنى بشؤون الشعر فلا يحير له جوابا. هناك ازمة تتفاقم حدتها ويتقادم عهدها. وأهم مظاهرها اليوم تضاؤل مستمر في عدد القراء سيؤدي إن دامت هذه الحال الى أن يكون المنتج والمستهلك واحدا، فيدخل الشعر في حلقة مفرغة وإذ ذاك يتم انتحاره

والشعراء أمام هذه الازمة ثلاثة أصناف منهم من هو متفائل، والافراط في التفاؤل يؤدي الى السطحية والسذاجة ويعطي شعورا كاذبا بالامن. يرى أنه من العبث التفكير في امكانية انقراض الشعر وهو قيمة أزلية، وهذا الفريق كما ترون يسلك سياسة النعامة ويظن أن تجاهل الخطر يبعده، وهناك من هو متشائم، والافراط في التشاؤم انهزام ورضى بالمصير وإقرار له، يرى أن الشعر قد أصبح لا هو حي فيرجى ولا هو ميت فينسى. اما الفريق الثالث فيرى أن الشعر مريض، وقد يموت المريض، لكن الواجب يدعونا الى معالجته مهما كانت النتيجة، وهذا الواجب يقضي فيما يخصنا اولا وبالذات بالعمل على أن لا يموت الشعر على أيدينا حتى نضع الاجيال المقبلة أمام كامل مسؤولياتها.

إن الشاعر الناشىء لا يفكر في ازمة الشعر فهو في حماس البداية ونشوة التجربة الاولى وضرورة التحرر مما تفيض به أحاسيسه وتتضخم به مشاعره من عجيب الرؤى والخيالات. ولقد أكد علم النفس أن كل عمل فني تحرر من عقدة نفسية وإفصاح عنها. ولكن الشاعر ما أن يتجاوز مرحلة المراهقة الادبية حتى يحس بعبء الرسالة التي التزم أداءها. وعندئذ يصطدم بحقيقة مرة هي أن رسالته التي يريد لها الشيوع ويوجهها الى الانسانية جمعاء، قلما تظفر بمرسل اليه. وهذه الخيبة يتجرع مرارتها جميع الشعراء على السواء مهما اختلفت مناهجهم ومذاهبهم. فهم عندما يتخاصمون

أشبه بقادة خسروا الحرب في الميدان فجاؤوا يحاولون ربحها على الخرائط.

ويخرج الشعراء أحيانا عن المناقشات البيزنطية لينكبوا على دراسة أسباب الازمة بطريقة موضوعية ولقد أعدوا محضراتهام يلقون فيه تبعة تقهقر الشعر على عاتق مجموعة من العوامل أهمها في رأي الكثير منهم هذا العصر الذي طغت فيه الآلة على كل شيء حتى ان الانسان قد أصبح بالآلة أشبه في حياته العامة والخاصة وماتت فيه القيم وتضاءل احساسه بالفن وتذوقه للجمال، وهذا الاتهام لا يتجه في الحقيقة الى سوى الجمهور الذي اعرض عن الشعر بينما كان في الماضي يصفق للشاعر ويرفعه الى درجة النبوة.

وتتفرع عن هذه التهمة سهام تصيب الصحافة والنشر اللذين لا يوجهان الجمهور ولا يربيانه على حب فن رائع قيم كالشعر باعطاء هذا الاخير مكانة لائقة، بل هما لا يعملان إلا على تملق غرائز الجمهور البدائية.

وبالرغم مما تكتسبه هذه الآراء من وجاهة يجب الاشارة الى خطإ يقع فيه نقاد الشعر بسهولة هو المقارنة بين الجمهور الحالي والجماهير القديمة دونما نظر الى الظروف والملابسات المختلفة التي تحف بذاك او بهؤلاء. وهو ما سنتعرض اليه بعد قليل. واستطيع أن أقول من الآن أن الشكوى والتذمر من إهمال الجمهور لشؤون الشعر أقدم مما نتصور، فالشاعر الاغريقي الفيلسوف (Xénophane) قد أبدى أسفه منذ ما يزيد عن خمسة وعشرين قرنا لولوع الجمهور بالملاهي والرياضة البدنية والالعاب الاولمبية أكثر من ولوعه بالفن.

وهناك من يعزو ازمة الشعر الى التعليم بجميع درجاته ويرى أن حب الشعر لا ينمو إلا خارج المدرسة ورغما عنها، متهما المشرفين على التربية بالاختيار السيء للقطع وبشرحها شرحا لغويا قاموسيا دونما إشارة الى الصور الجوهرية الشعرية، وبفساد الالقاء وبجعل القصيد واجبا مدرسيا لا متعة "استيتية" جمالية. وفي الحقيقة، لا ينطبق هذا الحكم على برنامج التعليم في ذاته إذ هو يوسي بتربية ذوق المتعلم وجعله يحس بما في الشعر من جمال وروعة، بل ينطبق على عدد من المربين والاساتذة من ذوي الطرق الروتينية وممن يشك في نضجهم الفني.

وثمة من يزعم أن مسؤولية الازمة تعود على الشعراء أنفسهم فقد جعلوا

بينهم وبين الجمهور حواجز عظيمة أهمها البرعاجية والانغلاقية. ولكن المتأمل من تاريخ الشعر يجد ان المنتج يبحث دائما عن مستهلك في مستواه. وأن الشعر قد تعاقبت عليه لغات متنوعة، وان الشعراء القدامى الذين نفهمهم ونتذوقهم اليوم كان يعاب عليهم في عهدهم الاغماض والغرابة.

صحيح ان الشعراء يتحملون بعض مسؤولية الازمة، الشعراء ؟ لا بل المتشاعرين. إذ من الغريب أن نلاحظ أن تضاؤل عدد القراء يقابله تزايد عدد الشعراء. الامر الذي يجعل عُمْلَةَ الشعر تتضخم وتفقد قيمتها. ولكن التاريخ يتدارك الموقف دائما إذ مهما تعدد الشعراء لا يحتفظ منهم الا باسمين أو ثلاثة في كل جيل. والشعراء الجوهريون شاعرون بخطورة هذا التضخم ويلقون تبعة ذلك على النقد الذي لا ينبه القراء ولا يرشدهم الى مواطن الشعر الحقيقي بل يغالطهم في الكثير من الاحيان إذ يتواطأ ويصبح شريكا في الجريمة بتبني قصائد تنتحل الشعر انتحالا وهو منها براء. ولكن هذا إن دل على شيء فهو يدل على أن النقد منعدم.

وهناك نقطة يختلف فيها الشعراء هي الالتزام في مفهومه المعاصر، فهناك من يرى أن الالتزام سيكون بمثابة الضربة القاضية على الشعر. ويرى الآخرون ان عهد الانفعالات العاطفية الاستيتية قد انقضى بحجة أن النقاش العقلي هو الذي يسلحنا وحده لخوض معركة الحياة، وأن الشعر اذا أراد أن يغزو الجمهور من جديد يجب عليه أن يعنى بشؤون الجمهور ومشاكله.

إن كل محاولة لتجديد الشعر ولجعله يتجاوب مع أكبر عدد ممكن من الجمهور، لا يسعنا إلا أن نصفق لها، ولكن بما أن قيمة كل عمل وثيقة الارتباط بنتائجه، يحق لنا أن نتساءل عما اذا كان الالتزام قد بلغ بالشعر الى ساحل النجاة واعاده الى مكانته عند الجمهور ؟ وأغلب الظن أن الوضعية هي هي، بل إن أحباء الشعر القلائل وهم بالضرورة ذوو مستوى ثقافي محترم، ليسوا في حاجة الى ايقاظ الضمير والوعي عن طريق الشعر بقدر حاجتهم الى العثور على المتع الاستيتية. لمن يتجه الشعر الملتزم إذا كانت النخبة ليست في حاجة اليه ؟ الى العامة ؟ إن كان الامر كذلك فلا بد من النزول الى مستوى العامة، ليخاطبهم على قدر عقولهم ولكن G. le Bon يقول : « إن التقدم الديمقراطي الحقيقي ليس في انزال النخبة الى مستوى العامة، بل في رفع العامة الى مستوى النخبة ». وهذا ما تعمل على انجازه حكومتنا الشعبية ضمن برنامجها لمقاومة التخلف.

كنت أنوي قبل تحرير هذه الكلمة أن أذكر بما قاله مفخرة الادب التونسي محمود المسعدي بخصوص الالتزام وحرية الاديب ولكن اسرة المجلة قد سبقني الى ذلك في باب " اصداء " العدد الماضي. ولذا فإني سأكتفي بنقل كلمة لفيلسوف يحتمي بظله عادة دعاة الالتزام. يقول سارتر J. P. Sartre في دراسة عن الادب، بعد أن شرح كيف أن الشاعر ينظر الى الاشياء من الخارج وكيف تصبح الكلمات نفسها أشياء لا مفهوما، يقول : « وإذا كان الامر كذلك، فإننا ندرك بسهولة ما في المطالبة بالتزام شعري من حمق » S'il en est ainsi, on comprendra facilement la sottise qu'il y aurait à réclamer un engagement poétique.»

ثمّ يضيف أن الانفعال والعاطفة والغضب الاجتماعي هي بدون ريب من مصادر القصيد، ولكنها لا تجد لها في الشعر تعبيرا مثل الذي تجده في النثر. فالناثر كلما عرض أفكاره وبسطها وضحها، بينما تندمج الانفعالات عند الشاعر في الكلمات التي تعتنقها وتتقمصها وتطورها، فتصبح أشياء غير شفافة، إلى أن يقول : « أنى لنا أن نستفز سخط القارىء وحماسه السياسي في حين ننتزعه عن المنزلة الانسانية وندعوه الى أن يلاحظ ما وراء الكلام بعيني إلاه ؟ ».

وقبل أن أغلق هذا القوس أؤكد مرة أخرى أنني لا أحب الالتزام في الشعر ولكن هذا لاينفي اعجابي بالكثير من الملتزمين وعلى رأسهم مياكوفسكي وناظم حكمت فالمقاييس عندي تتجاوز التمذهب إلى كل ما تتوفر فيه أسباب التعبير الفني عن المنزلة الانسانية. بل وأذهب إلى أبعد من ذلك فأقول إن ديوان الشعر يكون ناقصا لو لم يحو قصائد ملتزمة، أما أن يكون الشعر ملتزما باستمرار، فلا ! إذ أننا نكون بذلك قد ضحينا بالاصل في سبيل الفرع.

ولكن ما لنا والخوض في جدل مذهبي لا طائل من ورائه، ونحن نفتح هنا ملف ازمة الشعر لنتعرف اسبابها الحقيقية حتى نبحث عن روية واطلاع طرق الوقاية والعلاج.

لقد اتهم كارل ماركس عندما تعرض الى مشكلة الفن، المجتمعات الرأسمالية بأنها هي التي تخنق مناهل الشعر وموارده بانكبابها على المتع الرخيصة وشغفها الدائم بالنفع المادي الصرف، وهذا صحيح إلى حد ما ،فالرأسمالية لا

يهمها من الشيء الا استغلاله ولا تقدر الكيف إلا بالكم، ولكن التاريخ أثبت ما للقصور من كبير الفضل على الشعر والشعراء، وأكد نقاد الشعر في فرنسا ان البورجوازيين يمثلون الاغلبية من بين قراء الشعر في الوقت الحاضر، لا لان الشعر بورجوازي إذ من المعلوم ان الشعر في فرنسا متشبع بالحرية والاشتراكية، حتى أن كبار الشعراء امثال Aragon و Eluard شيوعيون في الغالب.

ولعل أهم دراسة عن مصير الفن هي التي قام بها الفيلسوف الالماني Hegel الذي يرى أن الفن (والشعر خاصة) قد ولد وترعرع وشب وكبر ويمكن له أن يموت موتا طبيعيا. فلقدكان الفن المرحلة الاولى في سبيل معرفة الكون، بل ولقد كانت المعرفة عن طريق العقل والمعرفة عن طريق العاطفة ملتحمتين تعطيان معا للفكر غذاء واحدا. ولكن سرعان ما تم تجاوز هذه المرحلة، إذ استقلت العمليات الفكرية المنطقية عن العمليات الحسية والمعنوية وقد تم هذا الطلاق بصورة نهائية حاسمة في هذا العصر الذي لم يعد حسب Hegel مواتيا للفن والشعر فقد توصل الانسان الى معرفة الكون عن طريق العقل فقط، وغدا الفن اليوم ضحية هذا الفتح العقلي إذ لم يعد كما كان أداة متعة استيتية بل أداة حكم وأداة عملية فكرية. يقول Hegel : « إن ما يثيره فينا أي عمل فني، بصرف النظر عن متعة عاجلة، هو الحكم إذ نحلل عن طريق النقد جوهره واسلوبه وما فيهما من تناسق او تنافر. » ويرى Hegel بوجه عام أنه خلال تطور كل شعب من الشعوب يأتي زمن لا يفي الفن فيه بكل شيء.

ولكن الانسان الجديد يريد أن يتخلى عن الفن وان يعيش على العقل وحده، ولعل هذا الانفصال الذي باعد بين العلم والفن هو الذي جعل G. Le Bon يقول : « هناك أناس ذوو ذكاء حاد ولهم أحيانا من الناحية العاطفية، عقلية تقارب عقلية متوحش ».

وقبل أن نواصل بحث مستقبل الشعر يحسن بنا أن نلقي نظرة خاطفة على ماضيه. فالشعر لم يكن هذا الذي نعرفه اليوم، وماكان يقصد منه الحصول على أية متعة "استيتية"، فقد كان يهدف الى خدمة اغراض معينة كالسحر والتعاويذ والتقرب الى الآلهة، او للتاريخ والقضاء او التعليم. وما الصيغة والقوالب التي كانت تصب فيها هذه العملية الفكرية "الشعرية" من نغم

وتفعيلات وارجل ومقاطع وقواف إلا سند للذاكرة فقط، فالشعر لم يكن متعة بل أداة تغير مصيرها واستعمالها مع القرون، لكن هذا لا ينفي حصول متعة للمنتفع بتلك الاداة، بل وقد تكون تلك المتعة العفوية هي التي أدت الى جعل الشعر شعرا. وهكذا نجد الكنيسة في القرون الوسطى تلجأ الى الشعر الملحن لاستجلاب أتباعها الذين يرددون مدائحها حسب الايقاع المتولد عن "الارجل" والقوافي، فكان استهلاك الشعر من قبل الجمهور كاملا شاملا، ولم ينقطع الا عندما انتدبت الكنيسة منشدين رسميين، واكتفى اذ ذاك الجمهور بالاستماع الى الشعر سواء كان نشيدا دينيا او اسطورة ملحمية او وصية أو خبرا. ودامت هذه الحال الى ان ظهرت الطباعة ودخل الشعر سوق النشر فأصبح وقفا على الذين يحسنون القراءة والكتابة فاكتسى بالضرورة صبغة ثقافية. وهكذا ومن هنا انقطعت صلته بالجمهور الاكبر وابتدأت الازمة وبقدر ما كان الشعر يتحسن من حيث الكيف، وذلك بتخليه عن كل غاية تعليمية أو اخبارية جافة وببحثه عن الجمال الفني، بقدر ما كان ينقص الاستهلاك من حيث الكم. وهذا يرجع الى حد كبير الى إن الاستمتاع بالجمال والاحساس بالقيم يتطلب رسوخ القدم في الحضارة. والى جانب الكشف عن أسرار الجمال، فإن للشعراء فضلا عظيما في تحرير المرأة وتكريمها، فالمرأة قبل أن يجلو الشعر مزايا جمالها ومناهل عطفها وحنانها لم تكن سوى دابة أو أثاث، والشاعر هو الذي صيرها طفلا مدللا وهو الذى هيأ لها مكانا في حضيرة الانسان، وإنه لمن بواعث الاندهاش أن نلاحظ أن المرأة أعق من الرجل نحو الشعر، في حين أنها تستطيع أن تساعد على بعثه من جديد بدون ان يكلفها ذلك أي عناء، إذ ما ضر المرأة المحبة مثلا أن تطلب من حبيبها أن يهدى لها من حين لآخر ديوان شعر ؟ — فإذا قدر للشعر أن يموت، فإن المرأة تتحمل الجزء الاوفر من الخسارة. فالشعر هو الفن الوحيد الذي يضمن لانوثة المرأة وجمالها قيمة معنوية تسمو بها.

قلنا منذ لحظة أن ظهور ازمة الشعر نتيجة لظهور الطباعة، ولكن مصير الشعر مرتبط مع ذلك بالنشر. فوسائل النشر الجديدة من إذاعة وتلفزة وسينما تجعلنا نتقدم نحو حضارة الصورة وربما نكون الآن بصدد اعداد انسان جديد ثقافته سمعية وبصرية. وإذا اراد الشعر أن يكون له مكان في هذه الثقافة الجديدة لا بد له من أن يراعي كل هذه المعطيات وأن يتفاعل معها شكلا

ومضمونـا، حتى تحتضنه الاذاعة والتلفزة وهما تدخلان البيوت بدون استئذان وبامكانهما اعداد المستمع وتلقينه لغة الشعر حتى تتوفر له أسباب تذوقه. واختيارنا للاذاعة والتلفزة لا لكونهما من أحدث وسائل النشر وأكثرها استجابة لمتطلبات العصر، بل لانهما يعودان بالشعر الى جوه الاصلي : الانشاد، فهو لم يجعل للقـراءة الصامتـة. ويذهب J. Joubert الى أبـعد من ذلـك اذ يرى أن بعد الشعر عن الغناء والتلحين من الاسباب الرئيسية التي أدت الى انحطاطه. وهذا يدعونـا الى التفكير في مدى مساهمة الاغنية في بعث الشعر. وهو موضوع طويل مستقل بذاته نأمل بحثه في مستقبل قريب.

هل يموت الشعر؟ كل شيء يموت ما لم تعد تدعو إليه الحاجة. فما هي حاجتنا الى الشعر؟ إنه أولا و بالذات متعة جمالية وتخليد لقيم الانسان وتمجيد لوجـوده، ومحـاولة رفعه الى مستوى الخلق. يـقول A. France : « يساعدنـا الشعراء على أن نحب، وهم لا يصلحون إلا لذلك، وكفاهم بذلك فخرا » . ويقـول الشـاعر الاسبانـي Becquer : « ما دام ثـمة عـيون تنعكس فيها العيون التي ترنو اليهـا، ما دام ثمة شفة تستجيب في لهفة الى الشفة اللهفى، ما دام بامكان روحين ان يمتزجا وأن يذوبا في قبلة ما دامت توجد امرأة حسناء، فسيوجد الشعر » كما ان وجود النغم والانسجام يضمن بقاء الشعر. ومادام الانسان لم يتغير في جوهره يحب ويحلم ويطمح فإنه سيبقى في حاجة الى الشعر كمرآة تنعكس عليها آماله وآلامه وهواجسه. وهكذا نستطيع أن نغير صيغة السؤال وبدلا من : « هل يموت الشعر؟ » نقول : « هل يموت فينـا الانسان؟ »

عبد العزيز قاسم

سوى كلام

شعر : محسن بنحميدة

لو كان لى ما ابتغى
لكننى لا أبتغى ...
سوى الكلام البيـــن
سوى الكلام الواضح
ماذا أقول وليس لى
وليس لى بعد لسان
وليس لى بعد بيان
وليس لى بعد زمان
وليس لى من جرأة
سوى الكلام البين
سوى الكلام الواضح ...

∴

انى أهيم بأن أقول
وان أقول وأن أقول ...
هذى الحشائش فى المروج
هذى الصخور وذى الطريق
هذى الشوارع فى ازدحام أو خلاء
هذى المدينة فى ظلام أو ضياء
هذا الشتاء وذا الربيع
والصيف فى مثل الخريف
والصبح فى مثل المساء ...
والقفر يقتله الجفاف أو السراب
والحقل يسكنه النمو أو الفناء
هذى المقابر فى السهول او الجبال
هذى القصور

هذى الشموس أو الظلال
هذا التوقف في الطريق
هذا التفتح للوجود
هذى الكليمات اللذيذة فى الغرام
أو فى أكاذيب الدهور
هذى الروائح ملؤها عطر الزهور
أو ملؤها وهم الانوف
هذا وذاك وذا .. وذا ..
أأقولها أم لا اقــول
وأنا اهيم بأن أقول
وان اقول وأن اقول ...

∴

لو كان لى عرض الوجود
لو كان لى طول الزمن
وجراة الطفل الوديع
لو كان لى حول الاله
لنفذت عمدا للقلوب
وصلبت احقاد الرجال
وفتحت ابواب العقول
وقتلت أوهام الحياة ...
لكننى لا ابتغى
سوى الكلام البين
سوى الكلام الواضح
ماذا اقول وليس لى
وليس لى بعد لسان
وليس لى بعد بيان
وليس لى بعد زمان
وليس لى بعد مكان
وليس لى ... أن أبتغى

محسن بنحميدة

رأي في مستقبل الشعر

بقلم : نور الدين بو كراع

هذه مشكلة ليست باليسيرة ولا بالهينة، ولا هي بالتي يمكن أن نتركها جانبا الى حين . فكل ما يحيط بنا من الظروف، وكل ما يكتنفنا من الوقائع والاحداث يدفعنا دفعا الى التساؤل عن مستقبل الشعر في تونس وعن المصير الذي ينتظره بعد سنوات قليلة أو كثيرة. ولا عجب أن نرى الآن مجلات الشرق والغرب قد امتلأت بالبحوث الطويلة والمقالات الكثيرة التي تعالج موضوع الشعر وتعمل على ترقيته وانتشاله من الهوة التي تردى فيهامنذ الربع الثاني في هذا القرن. فالحق أن الشعر في كل مكان يعاني ازمة تهدد مستقبله ويخضع لعوامل من شأنها ان تزعزع مكانته وان تضعف من مقامه بين الفنون الادبية وغير الادبية وهذه الازمة هي السبب في كل هذه المناقشات التي تدور حول فلسفة الشعروتجعل الناس يتساءلون عن مقدار القبول الذي سيحرز عليه هذا الفن عند القراء في العصور القادمة فضلا عن الاوقات الحاضرة.

فليس شعرنا العربي بدعا بين الآداب في هذه الازمة، ولكنه يمر بمرحلة متأخرة تأخرا كبيرا عن المرحلة التي يقطعها شعراء الغرب الآن واذا كان الشعر الاوروبي يقطع شوطا في الوسط بين عصرين من المدنية المتواصلة، واذا كان شعراء الغرب يعملون على تغذية فنهم بعناصر الازمة الروحية التي تمر بها شعوب اوروبا المثقفة منذ الحرب الاولى، فاننا ما زلنا في منطقة تعد بدائية جدا بالنسبة إليهم او لعلها اذا وزنت بميزان النقد الصحيح تجعلنا نقف عند المشاكل نفسها التي اثارها نقاد الرومانتيقية في اواخر القرن الثامن عشر ضد كل نزعة تحاول الابقاء على الفن البراق الزائف في الكتابات والاشعار انئذ إذ أنه في فترة النهضة التي تلت تلك العصور الوسطى مباشرة احتل الشعر التقليدي محل الشعر الكاتوليكي، وأخذ الشعراء والكتاب واصحاب المسرحيات يذهبون مذاهب من الطراز الذي نجده عند الرومان والاغريق القدماء وكانوا في تلك الفترة يعدون الرجوع الى القديم اكبر منقذ للفن الذي جعل ينحط بتأثير محاكم التفتيش الى اسفل قرار وكان من جراء هذه النكسة ان امتلأت آدابهم

بصروف من الفن والتعبير جعلت من المستحيل بالنسبة اليهم أن يتقدموا ويتلاءموا مع حياتهم وأساليب معيشتهم. ونسميها نكسة لان الاداب التي نشأت في ظل العصور الوسطى المسيحية كانت اكثر استقلالا وأدعى الى الامل في المستقبل من هذه الاداب، وذلك لانها غنيت بعناصر فنية وخصائص ذاتية من شأنها ان تشعرك بالفارق بينها وبين آداب الامم السابقة واستطاعت الرومانتيقية عقب هذه الفترة من التقليد الطويل ان تقيم دعائم مذهبها في الشعر والنثر على هذه المقومات المسيحية نفسها وان تشتق أصول فنها من هناك حيث تتوفر المشاعر الروحية وفكرة الخلود والتعبير الاسطوري البريء من كل حرفية أو نقل. وكانت عناصر الفن المسيحي – الى جانب هذا كله – موردا لا ينفذ لعشاق الادب الرمزي حيث تشيع رائحة البخور المتصاعدة في هياكل الليل عند امتلاء الجو بالسحر والغموض والظلام المرتعش. فالرجوع الى القديم والاحتفاظ بالتراث والاصرار على مراعاة فنون القدامى في التعبير والتحرير جعل النقاد في أواخر القرن الثامن عشر واوائل القرن التاسع عشر ينعون على كتابهم وشعرائهم هذا الفناء في شخصيات غير شخصياتهم وعدم الاستقلال بازاء اداب قديمة لا ترجع في تاريخها الى اصل واحد من حيث الموطن. واندلع لهيب الثورة على اقلام الكتاب في المانيا وفرنسا وانجلترا بحيث لم تمض بعد ذلك سنوات قليلة حتى كان التجديد معترفا به وحتى استطاع الادباء ان يلائموا بين حياتهم والوان قراءاتهم.

فنحن اليوم في مرحلة تكاد تكون من هذا النوع عند هؤلاء الادباء ولكننا مع الاسف الشديد ما زلنا متأخرين من جانب الذوق الادبي بحيث تستحيل كل ثورة نقدية بين ايدينا الى رماد في زمن وجيز. ومن الصعب – بطبيعة الحال – ان نقارب تمام المقاربة بين مرحلتنا الفنية وتلك المرحلة التي اتينا على وصفها من بين مراحل الشعر الاوروبي، فظروف اوروبا حينئذ غير ظروفنا، وادابنا العربية لم تتوسع في مشاكلها النقدية والفكرية على نحو ما حدث هنالك. ولكننا نود أن نذكر انفسنا بالتجارب التي مرت بها الامم الاخرى في فنونها وشؤونها الادبية والثقافية من أجل ان نأخذ العبرة وان نكون على بينة مما فعله سوانا..

واذا القينا نظرة عابرة على جمهور المثقفين المهتمين بالشعر خصوصا في هذه الايام وجدناهم فئتين: فئة كبيرة متشائمة لاتكاد تقر شيئا من فن المعاصرين الا ما كان على طراز المتنبي واضرابه من الشعراء القدماء. وهؤلاء يزيدون من صعوبة الحل في البحث الذي يتصل بمستقبل الشعر

لانهم مستمسكون بفكرة معينة ويحكمون وينقدون على أساس من الفهم الادبي التقليدي. وفئة ثانية ضئيلة استطاعت ان تؤمن بما وجد من الافكار النقدية وان تتلاءم مع الفهم الحديث بغير ان تملك القدرة على تحوير ذوقها الفني، بحيث يكون في الدرجة نفسها – مع فهمها للشعر والادب – من ناحية التقدم والرفعة فهؤلاء لا يستسيغون الشعر المعاصر على أساس من الذوق الادبي التقليدي ومن هنا نشعر بأنه – الى جانب البحث عن الاصول الفنية للشعر في تونس – ينبغي أن نعالج موضوع الذوق والفهم الادبيين ومقدار انتقالهما من جيل الى جيل. على أن هذا البحث يضطر الناقد الى مواجهة هذه المسائل في غير صراحة ما دامت لاتؤدي الى نتيجة عملية إذ الواقع أنني لا أعبأ بمعرفتي لاذواق الناس بقدر ما يعنيني أن أعرف الوسائل التي تعين على الانتقال بالفهم الشعري والوعي الادبي الى شوط آخر تتوافر لديه كل ملابسات الفن الصحيح. وبذلك تصبح ضرورة من الضرورات ان يتعدى الناقد حدود فنه ليبحث بعض المسائل الاخرى التي هي من صميم الكيان الاجتماعي والثقافي والروحي، والتي من شأنها ان تؤثر اكبر تأثير في أذواقنا ومداركنا الفنية. فنحن ملزمون بمناقشة كثير من التفصيلات البعيدة عن نطاق الفن عندما نحاول ان نرقي الذوق وعندما نسعى لتهذيب الاحساس الادبي. اما اذا شئنا ان نرفع من درجة المفهوم او إذا أردنا ان نربي ملكة النقد وأحببنا ان نزيد من قوة المدارك الفنية لدى أفراد الشعب، فأمامنا مسألة لابد من مواجهتها أولا وقبل كل شيء، واعني بها التساؤل عن ماهية الشعر الصحيح وغير الصحيح.

من المعلوم ان تقسيم الشعر الى صحيح وغير صحيح لايؤخذ به اليوم لدى النقاد باعتبار بسيط جدا وهو أنه لايوجد شيء في ذاته يطلق عليه اسم الصحيح بحيث نعرف سواء من أول نظرة، املاً أن ما نسميه صحيحا في الشعر انما هو شيء من خلق الافراد ومن تقدير الناس وليس منزلا من لدن خبير عليم. واذا كان الامر كذلك لم يكن في الفن مقياس ثابت الى الابد، ولا يوجد هناك حكم يتمسك به الى آخر الدهر.. انما هم يختلفون في آرائهم وأذواقهم باختلاف العصور وليس الناس جميعا على نمط واحد بحيث يسري عند هؤلاء ما يسري لدى غيرهم وهم اذا كانوا في ناحية من نواحي المعمورة يؤيدون فكرة من الفكر ويتشيعون لمذهب من المذاهب فليس معنى هذا انهم في ناحية أخرى على هذه الشاكلة أو من هذا القبيل.

وعلى أساس من هاتين الظاهرتين : عدم التوافق في عصور مختلفة

وعدم الترافق في البيئات المختلفة يترقى الشعر، او قل يتطور فقط من جيل ومن عصر الى عصر وتوجد منه مدارس وفرق كثيرة في المراحل المتعددة بحيث لا يكون المقياس الفني من النوع نفسه ولا يكون المعيار واحدا لدى الجميع. ومن هنا يستحيل ان نحكم بوجود شعر صحيح وشعر غير صحيح. وهذا طبيعي جدا إذا كان الامر على نحو ما هو حاصل في البيئات الفنية التي تتجدد حياتها من فترة الى فترة وكأن الشعر قد وصل فيها الى الحد الذي ينقسم الناس عنده الى طوائف متباينة. اما في تونس – الى وقت قريب – فالشاعر لا يحذو الا حذو القدماء، ولا يرعى حرمة لعامل الزمن ولا يصغي لصرخات الحياة من حوله وهي تهتف في باطنه بأن الاذواق لم تعد تقبل شيئا مما ينظمه ولا تعي لحنه الذي يخرج من صدره كما تخرج الالحان من سلك الربابة ولم توجد علاوة على هذا مدارس فنية بمعنى الكلمة تحاول أن تبدع أساليب في التعبير وفي النظم وفي الاخيلة غير ما يصطنعه سواها، وان تجدد الاوزان والصورة او القالب الذي يصب فيه الكلام المقروض.

ولذلك نشعر بأنه ما زالت بيننا وبين الحالات النقدية الاصولية التي لا تقف عند التفرقة بين الصحيح وغير الصحيح من الشعر مسافات طويلة وأشواط بعيدة وبأنه يلزمنا أن نناقش هذه المسألة أكثر من سواها حتى نتيح للشعر ان يترك ما لم يعد يقبله الذوق بحال من الاحوال وأن يمر بالمراحل البدائية في معراج الفن الى ذروته العليا. فبهذا يقطع شوطا لازما بالنسبة إليه في هذا الاوان خاصة، ولا نسمح للشعراء – بعد ذلك – ان ينطقوا شيئا غير مرضي عنه من أساسه ولا يجوز فيه خلاف او تشيع. ولا ضرب لهذا مثلا توضيحيا فأقول انني لا أستطيع إذا ما جالست انسانا منكرا للاديان أن أحادثه في أفضلية دين من الاديان على سواه، وانما أحادثه اولا في ميزة الدين على العموم حتى يدخل منطقة الايمان فأبين له قيمة أحد الاديان وروعة أحكامه عما عداه. وكذلك نحن في الشعر، لا نستطيع ان نبدأ في الكلام عن النقد المدرسي وأصول الفن قبل أن نبرح هذه المرحلة التي لا ذوق فيها ولا فن. والتي يصعب علينا ان نميز فيها بين انماط معينة او ان نطلق على ما نقرؤه ابانها اسم الشعر.

فمشكلة الصحيح وغير الصحيح من الشعر هي الاساس لكل بحث في مستقبل الشعر عندنا. وقد لا أستطيع ان أحدد تحديدا جازما مدلول كلمة الصحيح في هذا المجال الضيق ولكنني أستطيع ان أمر عابرا بعيوب الشعر في تونس وان اكشف عن جوهره الزائف بالتدريج حتى أصل الى

تعريف عكسي يظهر لنا الفاصل بين النوعين. وما أعنيه او ما سأحاول الكشف عنه من غير الصحيح في الشعر هو الذي يشيع عندنا في تونس الآن. وليس يهمني ان اكشف عن عيوب الشعر عموما في هذه المناسبة وغيرها من المناسبات. فبطبيعة ما يقتضيه البحث وما أرجوه من نفع سريع سأحصر كلامي على نطاق الشعر التونسي المعاصر وحده.

واول ما يسترعي الانتباه ان الشعر التقليدي ما زال أثيرا لدى الكثيرين من الشعراء الشبان ولم تزل صناعتهم الفنية من طراز ما كان ينسجه الاقدمون من حيث الاخيلة والتصوير ومن حيث الفن والاداء. وهذه أكبر مسألة تعنينا الآن بوصفها عائقا للشعر عن المضي في طريقه القويم.

واغلب ظني اننا جميعا نعلم مقدار ما في الادب التقليدي من دسامة ومن امتلاء يجعلان القارىء في حاجة دائما الى شيء من الرخاوة والفراغ والى بعض القدرة على النكوص بفكره وذوقه الى الوراء قليلا او كثيرا حسب تأثير الحضارة المعاصرة فيه. ومن هنا أحس الجميع بأنهم يقرؤون الشعر عن ترف ويقبلون على ذلك التراث بناء على عبقرية في اللغة ونبوغ في الادب وثروة في الاطلاع القديم. فمن لا يتوافر له شيء من هذا يشعر في قرارة نفسه بالعجز عن متابعة الشعراء القدماء او المواظبة على قراءة الشعراء الاحياء الذين ينظمون بطريقة تقليدية ويتبعون الاولين في المسلك والطريقة. ومن هنا كان لا بد من اعادة الثقة الى نفس القارىء العربي حتى لا يتوقف عن استمتاعه بالفن الادبي، وصار من الضروري ان ينزل الشعر عن بعض الخصائص او عن كل الخصائص ان استطاع من أجل ان يكون له رواج وان يوجد له طبقة من القراء وان يستمر في اطراده وتطوره على نحوما نريد.

ليس هذا فحسب وانما تطغى بعض عناصر الصنعة الشعرية على سواها من العناصر في القصيدة حتى يبدو التركيب فيها غير متناسق وحتى تظهر عليها اعراض التخمة الفنية. ولذلك كانت أهم مشكلة في الشعر العربي الحديث هي عدم قدرته على الملاءمة بينه وبين الحياة خصوصا اذا وضعنا نصب أعيننا ما يقوله : « هينه » من ان الادب في أصله تعبير عن حياة او هو مرآة الحياة. فإذا ظهر أننا نعيش في هذا العصر وان آدابنا توقفت او بقيت هنالك في العصور الفائتة على الرغم من القيام بخلقها الآن فقد حكمنا عليها بالعدم والتأخر والركود.

وللمدنية عيوبها من غير شك في تأثيرها الفني، ولكن محاسنها في تنظيم الحياة الادبية واهمال التكلف وانكار الصنعة لا يمكن أن يضع من قدرها باحث واحسن ما في هذا كله ان يكون الانسان ابنا للعصر الذي يعيش فيه وان يكون وليد الظروف الفنية والاجواء الروحية التي تحيط به وسجلا لتيارات المعيشة حوله. والحقيقة التي لا تقبل الشك هي أن الشعر العربي لواستطاع ان يعيش في هذه الايام وان يرفع التفاوت القائم بينه وبين الحياة وان يزيل الهوة التي بينه وبين الواقع لمر بسلام في هذه الازمة التي يعانيها.

كذلك يلاحظ أن الكثيرين من الشعراء ما زالوا ينظمون في الاغراض التي لا تجعلنا نحس بأن الشاعر قد انفعل لها او اهتز قبل ان ينظم فيها فهو غائب الشخصية في القصيدة بأكملها كأنما يخشى على عواطفه ان تتبرج وعلى أحاسيسه أن تتكشف وعلى نفسيته ان تبين. او كأنما يخجل من أن يوقف القارىء على باطنه وان يريه ما يدور في داخل شعوره مع أن الشعر لا يمكن أن يرتقي إلا على حساب التبادل الصريح في العواطف بين الشاعر وقارئه. وسواء أكانت نواحي الضعف ام نواحي القوة هي التي تميز شخصية الاديب عندئذ فسوف يجد القارىء شاغلا عن هذا كله بالاصالة وبذور العبقرية في العمل الفني ذاته. والاديب بعد هذا كله ملزم بأن يرفع كل حجاب بينه وبين قارئه من اجل أن يكون واضح المعالم بين السمات.

وهؤلاء الذين يتمسكون بقوة شخصيتهم من بين الادباء عند مواجهتهم للعمل الفني يفسدون على الشعر معناه وعلى الفن روحه فان أهم ما يميز الادب والفن انهما مناجاة الضمير للضمير وحديث الخاطر للخاطر وكل تغيير في قيمة الادب وكل تحول في مجال الشعر انما يأتي غالبا من اتجاه الناس الى رفع كل اشارات التكلف فيما بين الفنان والجمهور اما الشاعر الذي يحاذر أن يقع فيما يكشف لك عن باطن فؤاده والذي يخشى ان يظهرك على مكنون ضميره فأغلب الظن أنه — وان كسب حسن السمعة اولا، وحاز الهيبة عند لقاء الناس ثانيا — لن يجني خيرا كثيرا من الفن الذي خلق له وخص نفسه به. وآثار العبقرية الصحيحة غالبا ما تكون مشوبة بعناصر مرضية مما يجعلنا لا نخشى اظهار الناس على ما في تركيب الشخصية الادبية وتكوينها من علامات الضعف ودلالات السوء. فمشكلة الشعر عندنا تتلخص اولا في أنه يريد أن يكون صحيحا وأن يقبل الخضوع لاساليب الشرح والنقد الحديثة. ويستحيل أن يدخل في هذا الباب الاولي قبل أن يبذل

الشعراء مجهودا كبيرا ليرفعوا من قدره ويخلصوه من ارهاق الفن التقليدي ويدفعوه الى الامـام في مضمار التقدم والارتقاء.

وليكن في حسباننا منذ الآن ان الازمات لا تودع مجال الشعر ولا تفارقه عندما يعرف سبيلـه القويم وعندما يرتفع الى مسرح النقد وانما تتغير انواعها فقط. فبدلا من أن تدلنا الازمات على ان الشعر قد بات قريبا من القبر، تدلنا على انه كالكائن الحي تصادفه العقبات وتتعلق به الشوائب وتكتنفه المحن دون ان تؤثر فيه او ان تقضي عليه. فهناك ازمات هي ازمات موت، وهناك ازمات هي من قبيل الدلالة على الحياة بل على خالص الحياة.

وهذه في الواقع بمقام النبوءة – منذ الآن – لما سيصادفه الشعر الجديد حسبما افهمه من صعاب ومن ازمات. وهي انذار في الوقت نفسه بأننا لن نبالي في سبيل توطيد هذا الشعر في اللغة العربية بما سوف نلقاه من المتاعب لاننا نعلم تمام العلم ان موقفنا الآن موزع بالضرورة بين أمرين : اما ان ندع الشعر يهوى الى قرار سحيق حيث لا رجعة، واما أن نسعى لانقاذه من براثن الموت على ايدي أصحاب التقليد الزائف وارباب الفن المتداعي ونحن بطبيعة الحال اعقل من أن ننتظر الخير كله من هذا الطريق الثاني، ولـكن الضمير الادبي يأبى علينا الا أن نحاول... ولن نكف عن هذه المحاولة حتى نرى صرخات المجددين – وقد سكتت بعد الحرب الثانية – تعود من جديد وتتصل بغير انقطاع وتصادف عند الشبيبة من اصحاب المواهب والاذواق قبولا ورضا وموافقة.

وأهم من هذا كله هو أن تجد هذه التيارات الحديثة صدى في نفوس الشباب وان تلقى منهم اعترافا يزيح عن كاهلهم هذه الاثقال التي تركتها محاولاتهم المتكررة من اجل تقليد القديم بوصفه مظهرا من مظاهر البراعة والتجديد.

فذلك من شأنه ان يزيد في اطمئنان الناقد عندما يبحث مشكلة الشعر في تونس وعندما يعمل على تزويد الفن بعناصر من الغرب وعندما يجهد نفسه في النقل والتنويـر والاعـداد.

نور الدين بو كراع

قبضة من شعاع

شعر : عبد المجيد بنجدو

ضيـاء...
... هنا قطرة من شعاع
على الدرب
في نفق مظلم
وومضة حلم
ضياع... ضياع
كبسمة دنياي في الحلم
لقد صير الوهم بيض القلاع
تولول من ذعرها في دمي
دم
وصراع
صراخ
جياع يضجون
والجوع دنيا الفم
ظلام...
... هنا درهم من ضياء
ضياع
فلا تحتويه يدي
كأني به قد قبضت الفضاء
وجمعت من برقه المرعد
به حدثت في القديم السماء
به كنت دهرا على موعد
ولم يك إلا سراب رجاء
نفورا.
وكالامل الابعد
حصدت من الليل أطيافه
وناولت أكياسه الجايعين
وأعليت كالنجم أطرافه

ورصعت في برده الياسمين
وفجرت كالعين أريافه
وكالسيل من عرق الكادحين
وبالمجد — حدثت — خزافه
وبالوهم وشحت هام السنين
فثار...
وثار يريد الحياة
ويبحث عن سرها الضائع
ويطمع من غده بالنجاة
ويزحف نحو الغد الوادع
وظن بأن الحياة صلاة
يجود بها الرب للراكع
وقيل له إن من عاش مات
فألقى به الدرب للجامع
فما زال يتلو تسابيحه
وينعم في دربها المقفر
وصام وأطفى مصابيحه
وراء سنا الامل الاشقر
بكى ثم أبكى تماسيحه
وبالامل الحلو لم يظفر
فغنى وهاج تباريحه
من الصبح للشفق المدبر
ضياء...
هنا بارق من أمل
به حدثت كوة الزمن
فهام به المرء منذ الازل
وطار على خاطف السفن
وهدم من سجنه بالعمل
جدارا من الياس والوسن
الى حيث لا موت حيث أهل
ضياء من المجد في موطني

عبد المجيد بنجلو

امام القانون

اقصوصة بقلم : فرانز كافكا
ترجمة : أبو العيد دودو

وقف حارس أمام القانون، فجاء اليه قروي والتمس منه أن يسمح له بالدخول الى القانون الا أن الحارس قال له بأنه لا يستطيع أن يتيح له ذلك.

ففكر القروي، ثم سأله هل يسمح له بالدخول فيما بعد. فأجابه الحارس :

ـ ذلك ممكن ولكن ليس الآن :

ولما كان مدخل القانون مفتوحا كالعادة، والحارس قد انحرف جانبا، فقد انحنى الرجل لينظر عبر الباب الى الداخل. وعندما لاحظ الحارس ذلك ضحك وقال :

ـ اذا كان ذلك يجذبك الى هذا الحد، فحاول الدخول رغم منعي إياك ! ولكن لاحظ : اني قدير، ومع ذلك فما أنا الا أسفل حارس فهناك حراس آخرون يقفون من قاعة الى قاعة، الواحد منهم أقوى من الآخر. وأنا نفسي لا أطيق مجرد نظرة الثالث.

لم يكن القروي يتوقع مثل هذه الصعوبات. وفكر، ينبغي أن يكون القانون دوما مفتوحا للجميع ولكنه حين تأمل الآن الحارس بمعطفه الفرو بأنفه الكبير المسنن ولحيته الطويلة الرفيعة السوداء التترية، تبين له أن الانتظار انسب له الى ان ينال اجازة الدخول. فقدم له الحارس مقعدا وأمره بالجلوس الى جانب الباب. فجلس هناك اياما وسنوات، كان في خلالها يقوم بعدة محاولات ليسمح له بالدخول، حتى اتعب الحارس برجائه والحاحه. وغالبا ما كان الحارس يستجوبه ويسأله عن مسقط رأسه وعن أشياء أخرى كثيرة، ولكنها كانت أسئلة لامشاركة فيها، على غرار ما يفعله السادة الكبار. وبعد أن ينتهي منها،

يقول له بأنه لا يستطيع السماح له بالدخول بعد. واستعمل الرجل، وكان قد استعد لرحلته كل الاستعداد، كل شيء في سبيل رشوة الحارس، حتى ولو كان ذلك الشيء ثمينا. فكان الحارس يأخذ كل ما يقدمه له، ثم يخاطبه قائلا :

— اني آخذ منك هذا، لكيلا تظن أن قد فاتك شيء.

وخلال السنوات الطوال كان الرجل لا يكاد يكف عن مراقبة الحارس، بحيث نسي الحراس الآخرين. فقد خيل له ان هذا الحارس هو العائق الوحيد الذي يحول بينه وبين الدخول الى القانون. فكان، في سنواته الاولى، يلعن الصدفة المتعسة بصوت عال وبدون أي اعتبار، وفيما بعد حين شاخ، صار يكتفي بالهمهمة مع نفسه، وأصبح صبيا. وبما أنه في خلال دراسته الطويلة لنفسية الحارس، قد عرف البراغيث في ياقته الفرو، فقد توسل اليها هي ايضا ان تساعده على اقناع الحارس. وبالتالي ضعف بصره، فلم يعد يعرف هل أظلم ما حوله حقا، ام ان عينيه تخدعانه، ولكنه عرف في تلك اللحظة بريقا لا يخمد يشع من باب القانون. انه لن يعيش الآن طويلا. وقبل أن يموت تجمعت في رأسه كل تجارب الزمن وانحصرت في سؤال واحد لم يلقه بعد على الحارس. فأشار اليه بالاقتراب منه، لانه لم يعد في مقدوره ان يقيم جسده المتجمد. ومن ثم اضطر الحارس الى الانحناء فوقه بعمق، وهكذا تغير الفرق الكبير في صالح الرجل. وتساءل الحارس :

— ماذا تريد أن تعرف الآن ؟ انك لا تعرف الشبع.

قال الرجل :

— الكل يتطلع الى القانون. فكيف حدث أن أحدا سواي لم يطلب الدخول طوال السنوات العديدة ؟

وعندئذ عرف الحارس ان الرجل قد أشرف على نهايته، فصاح فيه ليدرك سمعه قبل ان يتلاشى :

— لا يسمح لاحد سواك بالدخول هنا، لان هذا المدخل كان مخصصا لك.

سأذهب الآن لاغلقه.

قبادو وثورة ابن عذاهم

بقلم : محمد محفوظ

تناول الشاعر محمود قبادو (1288 ـ 1871) في قصيد طويل الذيل عدته 119 بيتا اخفاق ثورة علي بن غذاهم، وانتصار دولة الصادق باي عليها وسحقها، والتنكيل بالقائمين بها. ومما يثير الانتباه ويلفت النظر أن الشاعر تعمد تلبيس الحقائق، وتشويه سمعة الثوّرة باطلا، وتبرير مظالم سيده الباي ووزيره الاكبر مصطفى خزنه دار، والثناء عليهما بما هما غير أهله، ووصفهما بما لا ظل له من حقيقة أو واقع. واذاكان هناك مجال للقدح في شخص علي بن غذاهم بالخصوص، فهل أن الثورة لم تكن تعبيرا صادقا عن النقمة والحقد على النظام القائم، وانتفاضة ضد الظلم والطغيان، وانفجارا للغيظ الكظيم عن نظام فاسد متداع يعيش على الخيانة والاستهانة بحقوق الشعب، وهل أن الاجماع الشعبي الرائع في الثورة على اختلاف في الاهواء والنزعات والاتجاهات ـــ مما لايقام له وزن ولا يحسب له حساب ؟!

ومطلع قصيد قبادو :

سما للعلا يقظانُ عينٍ حديدها
فهيهات بعد اليوم تعدى حدودها(1)

الى أن يقول مندداً بالثوار :

فيا ويحها من عصبة قد تهافتت   على نار بغي ما سواها وقودها

ان الثورة في وجه الظلم واللصوصية والسلب والنهب تبديل لنعمة الله كفرا في نظر قبادو ! أمسخت فطرته، ام هو الافراط في التزلف،

---

(1) القصيدة في ديوانه 1 / ص 89 ـــ 94

والتفنن في صياغة برود المديح لقاء ما يدر عليه شعره من السحت الحرام! ثم انه يقول مخاطبا سيده الصادق باي :

واعجب منها في عظيم إباقها أناة لمولى عن سطاه يذودها
ولو نظرت بالسخط اعين عدله اليها غدت عصفا أكيلا حشودها

وهذه بداية التلبيس وقلب الحقائق. اذ من الثابت الذي لاتدحضه اقوال الشعراء وامداح المتزلفين، ان الصادق باي حين هبوب الثورة، وابان اشتداد غليانها، كان على حالة لا يحسد عليها من الضعف المالي والعسكري لمواجهة الثورة والقضاء عليها. وحتى لو نظرت بالسخط اعين عدله، وما يتأجج في جوانحه من حب للانتقام، ومضاعفة الظلم، هو اعجز من تصيير الثورة« عصفا أكيلا حشودها » لو لا استعمال وزيره الاكبر وسائل الدس والتفريق بين القبائل بايقاظ ما غفا من عداواتها واحنها القبلية، واستعانته بمشايخ الطرق من عزوزية خلوتية ومدنية شاذلية على اطفاء ضرام الثورة، وبث روح التخاذل والانهزامية بين صفوفها. وصرف السير « ريتشارد ود » قنصل انكلترا العام بتونس وجهة الثورة بالمدن الى الاخلاص للدولة العثمانية، والحرص على بقاء التبعية للعائلة المالكة بتونس ولما ضعفت الثورة بما طرأ عليها من انقسام نكص « ود » على عقبيه، وانسحب في خفة القط، وغير سلوكه حتى سقطت ثورة المدن.

ثم يقول قبادو :

وان ابدت الذنب المبين فعالها فقد أخفت الحب المجير عقودها(2)

عجيب ! اطلع صاحبنا على مكنونات الضمائر ومستودعات القلوب ولم لا وهو الخبير بضروب العلم الروحاني ! وأي حب تخفيه القلوب بعد ثورة جامحة على طغمة من السلابين النهابين، وعلى ملك منحل الاخلاق، خرب الضمير، لا ذمة له ولا عهد، استمرأ طعم الخيانة الوبيل، وضارب بحقوق الشعب، واستغل نفوذ الحكم للاثراء الشخصي.

ثم يقول مادحا حلم الصادق باي، وعفوه عن الثوار، وارتيابهم — بحق— في بذله العفو الماكر الخادع، ومجيء اساطيل الدول الاوربية لمساندة الصادق باي :

---

(2) الديوان ، 2 / ص 90.

حلمت، ولم تعجل، فارشدتها لان   تؤمل عفوا، فارتجته وفودها
فجدت به، فاستعظمته لذنبها   الى غاية يرتاب فيها شهيدها
وظنته ارفاء لحسو فأخطأت   به نفسها عشوا، ولج فديدها
ولو لم تعرفها بحلمك ما درت   ولو لم تخفها ما استكان شرودها
وهل تمتري في أن عفوك منة   ومن مدد وافاك غض وصيدها
وما وسعتها للنفاق سهولها   ولا عصمتها من سطاك ريودها
وقد خبرت من حالتيك تكرما   ورفقا واسراعا الى ما يفيدها
اتتك اساطيل الملوك ظهيرة   فأصبح ضيفا في ذراك جنودها
اقامت، وامضيت العزائم تأتمي   براية رأي منك وهي ردودها
وعادت وقد حملتها من تعجب   لحزمك والتدبير حملا يؤودها
يضيق بما اوليت ذرعا شكورها   ويوسع ما ابليت عذرا حسودها

ولا ندري هل أن قبادو كان واعيا لما يقول عندما يزعم أن أساطيل الملوك أتت ظهيرة للصادق باي، وانها عادت والتعجب يؤودها من حزم وتدبير الصادق باي.

ان أساطيل فرنسا وانكلترا وتركيا وايطاليا ارادت استغلال فرصة الاضطراب لتحاول القيام بعملية غزو واغتصاب ولتحقق مكاسب سياسية نفعية عاجلة لدولها. وهذه مأساة أخرى، وانتهازية مقيتة من كبريات الدول في ذلك الزمان، لاتستنكف عن سلوك سياسة مكيافيلية مع الدول الضعيفة لتحقيق ماربها السياسية — ففرنسا اتى اسطولها تأمينا لاحتلالها الجزائر، ومحاولة لتحقيق مطامعها التوسعية بتونس، ومقاومة للتداخل التركي بأي عنوان كان، وايطاليا على حداثة عهدها بالوحدة القومية وتحررها من قبضة النمسا، تريد أن تتخذ من تونس رأس جسر للتوسع الاستعماري، واعادة حلم الامبراطورية الرومانية ؛ وانكلترا تريد المحافظة على التوازن الاروبي بمساندة تركيا، وهذه الاخيرة رأت في ميل الصادق باي اليها فرصة لتأكيد وجودها في مجال النزاع الدولي، واستعادة شيء من الجاه والنفوذ بتونس وتقوية الروابط بالعائلة المالكة بها، وبعبارة أخرى كانت ضد الثورة. وهذا ما استغله «ود» وخزنة دار حتى نجحا في القضاء على ثورة المدن. وما منع هذه الاساطيل من القيام بعمل مشترك الا تباين المصالح، واختلاف المنافع، وتباعد وجهات النظر. ثم ما هو حزم وتدبير الصادق باي الذي اثقل الاساطيل ؟!

ان الاساطيل اقلعت عندما رأت انكلترا انقضاء مبررات بقائها.

ثم ان الشاعر اشار الى العفو عن رأس الثورة علي بن غذاهم، واصفا الثوار بأهل الحرابة، ذاكرا اهانتهم لبعض العائلات الاقطاعية بالقبائل ولرؤوس المتوظفين بها :

فأبدل تثريبا بتثويب منة   واكرم اكرام المطيع عنيدها
واغضى يحد العلم عن متستر   وفي الغض عن بعض الجناة وعيدها
....
اما انها اهل الحرابة بعضها   كفيل لبعض اذ توالت عقودها
فكم من دم طلت، وكم سلب حوت   وكم عفّرت عرنين مجد حشودها

الى ان يقول مشيرا الى تطبيق المسؤولية الجماعية الجنائية في عقاب الثوار بالمال، وجلد كثير منهم وموته تحت الجلد، مبررا مظالم الباي بفتاوفقهية مضحكة :

وان فداء الكل بالبعض سنة   تواتر عن شرع وطبع شهودها
وقد كان جلد البعض زجرا واهدرت   نفوس بجلد البعض فاد جليدها
أليس من التعزير — وهو مناهج —   تناط الى رأي الامام حدودها ؟!
وقدما قضى سحنون في الدين ضاربا   مرارا قضى نحب المدين عديدُها
واما عقاب المال فهو موسع   اذا عودت منه بشيء يعيدها
بحيث اذا لم تمتهن باستلابه   رأت شوكة السلطان فلت حدودها
على انه قد كان حط من الجبى   واعواز بيت المال مما يعيدها

أرأيت كيف يبرر مظالم الصادق باي ووحشيته بفتاو فقهية لم يحسن تنزيلها، ولا عرف مواقع تطبيقها !

يعترف بأن البعض مات تحت عذاب الضرب المبرح، وبأنه من التعزير الذي يناط برأي الامام، مستدلا بأن سحنون قضى في الدين بالضرب مرارا حتى مات المدين.

وقفت طويلا عند هذه الابيات متأملا مشدوها متعجبا من موت حس الشاعر وتصويبه لوحشية الصادق باي، وتبريره لمخازيه ومظالمه ومآثمه. وليته سكت عن هذه الفضائع والجرائم، ولو كان له قلب حي وضمير يقظ لاستنكر الظلم ايا كان مصدره، ولثار وصخب ضد هذا الانتقام اللئيم الدني من ملك غليظ الفؤاد قاسي الضمير سلب الله منه الرحمة وكل معنى خير من معاني الانسانية والرجولة.

ان الجلد البربري الهمجي الذى اذن الصادق باى بتسليطه على رؤوس الثورة اثار سخط العالم المتمدن اذ ذاك، وسالت اودية الصحف العالمية منددة بهذه الوحشية. على ان الجسد البشري محترم مصان، والاسلام حرم الضرب المؤذي حتى مع اعتى الجناة. ان الصادق باى حكم على كل رأس من رؤوس الثورة بكمية من الجلد تجاوزت المئات. وكان يشاهد من روشنه — من حيث لا يرى — زبانيته يعملون الآت نكالهم في اجسام المواطنين، وهم يئنون ويستغيثون، وهو كالوحش الرابض يتلذذ بهذه المشاهد المؤلمة، وبهذه الجرائم الفظيعة المستنكرة. والبعض من هؤلاء التعساء مات أثناء الجلد، والبعض الآخر سال دمه، وتمزق لحمه، وقذف به على التراب، بدون عناية ولا معالجة، كأنه متاع تافه لايؤبه له، لاجسد انسان كرمه الله. ومن لم تقو بنيته منهم على تحمل العذاب الوحشي الاجرامي فاضت روحه الى بارئها، ومن حمته مناعة بدنه من الموت الزؤام سيق الى السجن ليؤدى ما كتب عليه من اشغال مرهقة شاقة، حتى أن معظم هؤلاء البؤساء لحق بربه في معتقله — أهذا انتقام واجرام ووحشية فظيعة، ام تعزير موكول لاجتهاد أمثال الامام الصادق باي ؟! سبحانك، هذا بهتان عظيم !

ولا نريد أن نناقش قبادو في فتاويه الفقهية، وتلبيسه فيها، وجنايته على الاسلام باظهاره بمظهر المؤيد للظلم وللوحشية، ورحم الله القائل :

وهل افسد الدين الا الملوك　　　واحبار سوء ورهبانها

لكننا نحاسبه بسرعة عن تبريره لمظالم الصادق باي ولصوصيته وشرهه الى استلاب اموال الناس، وتعريضهم للمجاعة والاوبئة، والمهانة والذل، ومن خلفهم ذرية صغار لا ذنب لهم، ولا حول لهم ولا طول، وهذا السلب والنهب لا يسمى عقابا بالمال، ومن باب التزوير والتلبيس، وتبرير المظالم باسم الدين، تسميته كذلك. بل أن الفقهاء قاطبة قصروا العقوبة بالمال على اتلاف البضائع المغشوشة، او المحجر استعمالها، او الآلات الممنوع اتخاذها، او هدم محلات الريبة والفساد (3)، وعقاب

(3) بسط المسألة بسطا جيدا ابن القيم في كتابه « الطرق الحكمية في السياسة الشرعية » تحقيق محمد حامد الفقي، مط السنة المحمدية، القاهرة، 1372 — 1953، ص 266 — 279.

المجرم بأخذ شيء من مالـه لا يضر بـه، محل جدال واختلاف بينهـم. فـأين هـذا ممـا نحن فيـه !

وبعد هذا أتـى قبـادو بطـامـة أخـرى عندمـا جمـع بلاغتـه وتقعره اللغوي ليؤيد الغـاء الصادق بـاي للدستور وليبرر حكمـه الفردي المطلـق :

وفي كون امر الناس شورى وخيرهم ... امير شروط قد يعز وجودهـا

الى ان يقـول :

فلن يستقيم الملك الا لـفـارد ... قد استنجد الآراء وهو عميدها(4)
وللجسم روح عـاضـدتـه مشـاعر ... بـه ولـه تحريكها وركودهـا
اليس جليـا أن للجسم مضغـة ... يعـود لهـا اصلاحهـا وفسـودهـا
ومـا صـورة الانسـان الا نمـوذج ... عـلى العـالـم الكلي تحدّى حدودها

هذا مـا قـاله في ذم الشورى، وفي مدح الملك الاستبدادي الفردي المطلـق، متملقا للصـادق بـاي، ويبدو أنـه الصدى الحاكي لمـا يدور في مجالس البلاط من استهـانة بأمر الشورى، ومن استقـامة الملك لواحـد فـرد مستبد يتصرف في شؤون الامـة كيف يلذ له الهوى ويتحكم في مقدرات الدولـة حسب مشيئتـه، وزوق قبـادو حججـه وتبريراتـه بخيالات وتشبيهـات غثـة الى ان انتهى الى المثل الافلاطونيـة المناسبـة لعقليـة الدراويش ومشرب المتصوفـة.

لكن قبـادو نفسـه يتناسى في سنـة 1284 هـ. مـا قـالـه في مدح الحكم الفردي المطلق، وتهجين للشورى، ويتراجع ويلحس ما نظمـه سـابقـا، عندما قرظ كتاب الوزير المفكـر المصلح العظيـم خير الديـن « أقوم المسالك، في معرفـة أحوال الممـالـك »، فيقع في التناقض الصارخ عندما يقول . :

افما رأيت الفاردين تـنـوشهـم ... ايـدي العوادي بالاذى والهون(5)
لأظهرا أبقو، ولا شـفـقـا طـووا ... تنضـى قـواهـم حُوّما بـوكون
ركدت حميتهم، وهـان عليهـم ... بيع الفخـار بصفقـة المغبـون

---

(4) الـديـوان ، ص 92.
(5) الديوان، 2 / ص 71.

هلا – وهم أهل الكمال وجذمه – سقطوا عليه بنا جذ لضنين
اجروا اليه في مجاري سابق جلى، وهم صرعى فنون فتون
افيطمعون ولا مجاراة لهم بلحاقه امنية المأفون
هيهات لام (؟) في تفاريق العصا اذ بدّها استبدادها بشؤون
(؟)إلا بروية حول ذي تدرء يذر الضباب اليفه للنون

ويقول في تقريظه نثرا مادحا الشورى، وذاما الاستبداد، ومقارنا بين ما أثمرته النظم السياسية الاروبية التقدمية من ثروة وعمران ، وبين ما خلفته النظم السياسية الشرقية الرجعية من جهل وتأخر.

«... ولم تزل الشورى في كل ملمة ديدن السلف الصالح من قادة هاته الامة، حتى اثنى عليهم الكتاب المجيد ،اشارة الى انها من سننهم التي تنكبها ضلال بعيد...

ومن سبربمسبر الروية اغوار السير، وجس بأنامل الالمعية نوابض البدو والحضر، واستشرف على استشراء الممالك الاروبية وتغطرفها، واستئسادها وتصلفها، بما فوفته من ابراد الحضارة، وما اورفته من ظلال العمارة ،لا تخامره ريبة في أنها نتائج متناسقةالكعوب، ومغارس متضامة الجنوب، سنخها تضافر العزائم والالبب، وانعطاف بنات البب، على اطراح الاغراض الشخصية، للمصالح الكلية، ثم اذا عطف اعنة النظر الى الممالك الاسلاميةوتقراها، وجاس خلال مدنها وقراها، وتبين ما منيت به من ترايد الغمرات، وتناقص الاموال والانفس والثمرات، لا يتمارى في أن حورها بعد الكور، وارتدادها عن النجد في حافرة الغور، ليس الا لعدم رعاية الحقوق العامة حق الرعاية، وفشل الحمية بالتنازع المفضي الى ذهاب ريح الحماية فكأنها مسارح جياد ركبت ارسانها، والفت مرحها واستنانها، لاتكاد تسمح لرعاتها بالتخلي عن مألوفاتها فهي مفتقرة الى تدبير سياسي ، في تأليف إيناسي، يلهب حميتها الى مساعفة الراضة ويهب اريحيتها الى مساهمة الامة المرتاضة ... »(6).

ومنشأ هذا التناقض والتقلب والتلون، ان قبادو لا ينطق عن تفكير وعقيدة ومنهج ، بل ان الرجل يغشى مجالس الوزراء وكبار رجال الدولة

---

(6) الديوان، 2 / ص 73 – 74.

فتلتقط أذنه ما يدور في مجالسهم، ويعرف اتجاه كل واحد منهم، فاذا عنت الفرصة لمدح أحدهم طمعا في نواله، نظم من الدرر ما يوائم اتجاه الممدوح، ويوافق مزاجه، ليظفر منه ببغيته، وينال مراده، ولا نتجنى على الرجل فقد مدح مرة الوزير خير الدين، ولما أبطأ في نفح قبادو بالصلة قال مخاطبا اياه :

قالوا اجازك اعيان مدحتهم ... ومن صلاتهم وافتك أهنؤها
وقد زففت لخير الدين غانية ... فهو الذي بمزاياه يكافؤها
ما بال مهرك عنها قد مطلت به ... وما وفي بحقوق الود مرجؤها
فقلت : يارب بطئا خلفه ظفر ... والسحب ابطؤها في السير املؤها(7)

واذا علمنا الظروف التي قال فيها بعض قصائده، وميله الى التزلف والتكسب بشعره، تضاءلت قيمة هذا الشعر في الشكل والمضمون، ويقضي على مزاعم من مدح آراءه التحررية والاصلاحية، بل انه رجعي ممعن في رجعيته لمدحه للطغاة، ومستخف حتى بعواطف مواطنيه المنكوبين بعد اخفاق الثورة بالمظالم والارهاق والقهر والعذاب الذي يذيب الصم الصلاب.

ومن تلبيسه وقلبه للحقائق قوله — في القصيد المتعلق بالثورة — مادحا الصادق باي :

ألا أيها الملك الوفي بعهده ... وقد اقبض الايمان حمرا عهودها(8)

وقد علم القاصي والداني من غدر الصادق باي وخيانته ونكثه للعهود مالا يحتاج الى بيان.

الى ان يقول في مدح الوزير الاكبر مصطفى خزنه دار :

يرى مصطفى بالاسم والخلق والحلى ... وخير وسعي للبرايا يفيدها
....
محيط باسرار الوزارة سابق ... لغاياتها سهل لديه كؤودها
تعود رقياها فأحسن رعيها ... وصار له حبل الذراع يعيدها
تشف له عما اجنت ويجتلي ... بها ما توارى من غراب برودها

---

(7) الديوان 1 / ص 22.

(8) الديوان 1 / ص 93

لـه صورة في كـل نفـس فعولـة | كمالية معشوق كـل شهودها (؟)
تبين ان قد أخلصتـه عنـايـة | الاهيـة لا يستطـاع جحـودهـا
وان الـكمـالات التي فيـه فطـرة | يعز عـلى المستطرفيـن تليـدها
مكارم ملء العين والسمـع والحجـا | ولـكن صفر الـكف منهـا مريدهـا
ففـاخر بـه ما شئت من دول عـلا | ففخـر ايـالات الممالك صيدهـا !
وشدّ بـه أزرا لدولتـك التـي | حري بهـا ان تستجـد مجـودها !
فلـم تختلف فيه الظنون فـانـه | وراء مرام دونهـن صـرودهـا !

يظفر مصطفى خزنه دار على خيانته وانتهازيته، واستغلاله نفوذ الحكم لفائدته الشخصية، وحقد كل الناس عليـه من أجل هذه الخلال، بهذه الدرر الغوالي من قبـادو ! فهو ممن اخلصته العناية الالهية. والـكمالات التي فيه فطريـة، وأي كمالات ؟! ومكارمه ملء العين والسمع والعقل، وهو ممن تفاخر به دول عـلا، ويا ضيعة الدول المفاخرة بأمثاله ! ولم تختلف فيه الظنون ونعوذ بالله من فتنة التزلف والطمع اللذين يعشيـان الابصار، ويريان الليل نهـارا.

رحم الله قبادو، وعفا عنا وعنـه، بقدر مـا كـان للحق وليا ولقضايا العدل نصيـرا.

محمد محفوظ

****
****

مـلاحظـة ؟ ؟

* ان ما ورد في هذا المقال من شعر قابادو فيه الـكثير من غريب الالفاظ ومعقد التراكيب وقد حاولنا ان نرجع الى ديوان الشاعر ولـكن لم نظفر بذلك لندرته وخلو المكتبات العامة منه. فليعـذرنا قراؤنـا الـكرام اذا وجدوا بيتـا من ابيـات الشاعر غير واضحة المعنى او خللا في الوزن.

أبعد من الحس

بقلم : محمود التونسي

فتحت عيني وبدأت أعي دقات قلبي
ولما فتحت عيني شعرت وكأني اتمطط في
الحياة.. او كأن الحياة تتمطط في داخلي
واذا بالوجود يتضخم
واذا بالحياة لامتناهية

واذا بي باب في جدار اللاشي

يفتح على بحر الوجود.
هلا انغلقت ايها الباب ولو لحظة قصيرة
حتى تنظر عيناي الى ما ليس موجودا
ويصغي قلبي الى ما يحن اليه .

أيها الباب هل حتم عليك أن

تبقى مفتوحا على الوجود الكبير ومغلقا
على اللاوجود الاكبر.
ان بي رغبة ملحة الى ان أدير وجهي الى الوراء
لالقي نظرة على آثار اقدامي
— ويذوب شوقي تحت اشعة الشمس الذهبية
وشمس الحياة التي أذابت شوقي، هي التي أضاءت

ازاهير الحياة في عيني، وشعشعت ألوانها
ونضحتها بذوب من الشوق.
واذا لسحر الحياة على سلطان : ضمأ بنفسي وينابيعها
ثرة، ولعذوبتها سيول.
واذا لسحر الحياة على سلطان : تسفر عن وجهها
فإذا هو الجمال يشع وتبرقعه فإذا هو
الشوق الى الحقيقة، لذة البحث وجذل الظفر.

هكذا انسقت مع الحياة ؟! وهكذا غمرني تيارها

الجارف ؟! بل أنا تيارها الجارف...
ولكن مهما كان التيار جارفا فاللاقرار ابدا
هو اللاقرار.

اجل ان يدي لاقصر من ان تمسكا بطرفي حبل

التاريخ. وهو الذي في آخره أما أوله فأنا أعجز من
ان احلم بأحلامه، ويسبق خيالي الى حيث
يتوق.
اجل انسقت مع الحياة، ولما كان التيار اهيج ما يكون
والنشاط أسرع ما يمكن والحس من الرقة يكاد يفلت
عن الوجود، فتحت عيني واذا بالافق
ملاها وهي عما وراءه عاجزة. واذا باللون
حاجز وهو لا يشف حتى ترى ما دونه.
أما أذني فهي غربال من نحاس اغرف به من البحر
واغرف فلا يخرج ماء يروي وانما يخرج حصى يقعقع

باب في جدار اللاشيء يفتح على بحر الوجود

هل لا انغلقت ايها الباب ولو لحظة قصيرة حتى تنظر

عيني الى ما ليس موجودا ويصغي قلبي الى ما يحن اليه.
ايها الباب هل حتم عليك أن تبقى مفتوحا على
الوجود الكبير ومغلقا على اللاوجود الاكبر ؟
ما هذا السكوت... ؟
ما هذا الفناء الذي يسري بفكري بينما تلهب
الحياة كياني ؟؟..
لتفن كل الابواب
لتزلزل الارض زلزالها..
ليدك حصن الحياة..
لتذب عروش السماء..
ولتصنع ارادة الكل بالكل
بابا واحدا عظيما.
يفتح على بحر الوجود ولكنه اعرض
من جدار اللاشيء... أسه في اللاقرار...
وقمته قمة اللاوجود.

محمود التونسي
طالب بمدرسة الفنون الجميلة

الانسان بين اللغة واللسان*

بقلم : الحبيب ابـراهم

(2)

التعريف تجويف وتجفيف

البحث العلمي لا يتصاغر أمـام دين، ولا يذل أمام أغلبية، ولا يخدم ركـاب ملـة أو حزب أو عاطفة، ولا حتى ركاب صاحبه...

مـاهي اللغـة ؟

لقد درجنـا ــ في سعينـا للبحث والتنقيب ــ على إصدار الحكم قبـل ضبط الحيثيـات، نـاسين ــأو متناسين ــ أن الحكم غـاية لا سبيـل.

وقد غاب عنـا أن النزاهة في الحكم تقتضي الشك أولا والتطهير ثانيا وتعتيم الاساليب ثـالثـا.

غـاب عنـا أن التعريف حكم يتطلب سعيا في سبيله... هو في ختام عملية شديدة التعقيد، تختلف باختلاف زاوية النظر، واتساع السبل، وبعد الاهداف، ويقظة الضمير، ونجاعة الاسـاليب. هـو الغـرور يوهمنـا المقدرة المطلقة على ضم كل لبّ سمين. وكم تكون دهشتنـا إن فتحنـا العيـون فلم نجد سوى القشور الضحلة عالقة بالصدور !

قال أنيس فريحـة : « اللغة جزء من كياننـا البسيكولوجي الروحي وهي عملية فيزيـائية اجتماعية بسيكولوجية على غاية من التعقيد ».

تعريف كهذا التعريف أقرب الى التفلسف الفواش منه الى العلم الغواص.

ادعاء ماسخ هذا الذي يحملنا على اعتباط التعاريف الجامعة الشاملة

* راجـع الفكـر ـ العـدد ـ8 ـ السنـة 9

ان أقزام الفكر — لدينا — يتعملقون ! من سمات التقدم عمق في النظر، ومن سمات الانحطاط سعة في الوهم !

⁂

ما التعريف الذي أطلقه أنيس فريحة على اللغة إلا احدى ظاهرات النظر المسطح الجائر، هي احدى نتائج القوقعية المهنية. هي تسخير للهدف في سبيل الطرائف.

لم يفهم أناسنا — بعد — أن التخصص ليس الا طريقا من طرائق البحث، وأن الطرق وسائل، وأن الوسائل خادمة، وأن الخادم ليس خادما إلا اذا كان أمينا.

ولم يفهم أناسنا — بعد — أن الامانة ليست في كشف الحقيقة. إنها في كشف الحقيقة كلها. في ارجاع المؤتمن كله.

الاختصاص الذي ينشد العمق ويهمل الشمول اختصاص غير أمين. هو لا يخدم الحقيقة. هو ليس من طرق البحث الموصلة. هو من طرق الاختلاس والتشويه الناجعة.

من ذلك أن التعريف الذي أطلقه أنيس فريحة على اللغة تعريف أدبي باعتبار أن الادب أخذ من كل شيء بطرف. هو تعريف أطلقه التخصص الادبي ساعيا الى ضم أطراف الحقيقة. وقد ضاعت في طياته طلاوة الادب وضاع في كلماته المنفوشة المتورمة عمق التخصص وانحلت في سيوله المظلمة متانة الحقيقة ووضوحها.

وقد راح الكثيرون من علمائنا ومتعالمينا ينسجون على منوال التجزئة الاختصاصية شباكا من التعاريف طوقوا بها عنق اللغة عموما وطوقوا بها عنق اللغة العربية المشرئب، ناسين أن اعتبارهم اللغة كائنا حيا يناقض تعاريفهم من الاساس.

عرف كلنا أن التعريف تجميد وتقييد.

بقي علينا أن نعرف أن الكائن الحي المعرف وأن الكائن الحي المقيد كائن سجين، كائن ممسوخ التصرف، كائن لا مجرى لحياته، كائن قتيل.

في السمـات

قـال بعضهم إن من قسمـات الوجه ما يصور معنى. وقال آلان Alain : « وجه الرجل شكل لغوي ذو معنى بليغ يحمله الى كل مكـان بدون ان يفهمه الآخرون، ولا حتى هو نفسـه »(1).

وقــال محمود الـوراق :

واذا تـلاحظـت العيـون تفاوضـت ... وتحدثـت عمـا تجـن قلـوبهـا
ينطقن والافـواه صامتـة فـمـا ... يخفـى عليك بـريئهـا ومـريـبهـا

وقــال أحمـد شوقـي :

وتعطلت لغة الكلام وخـاطبـت ... عينـيّ فـي لغـة الهـوى عينـاك

**

قـالـوا إن بين أفكـارك والاعصـاب عـلاقـة
وقـالـوا إن بين أفكـارك والعضلات صلات

فاستدارة الفم والعينين تشير الى دهشة، وانطباقة الفم مع انحناءة الظهر وتدلي جلود الوجه تعني همـا واهتمامـا، والخطوط الطولية على الجبين تدل على غضب وثورة، والخطوط العرضية على الجبين تشير الى سبحات في الخيـال، وانطباقة الفم والشدقين تدل على عزم وتصميم، وتكشيرة الفم مع انطباقة الاسنـان إشارة الى ألم، وعضّ الشفة السفلى يرمز الى مزاج عصبي والابتسامة تعني الرضى أوالسخرية، والقهقهة تعني تحمسا في الرضا أوالسخرية والنظرة المتجهمة اللاهبة تدل على غضب شديد، والنظرة الشزراء تشير الى حقد كمين، وانطباقة الاجفان مع تورد الوجنتين خجل وخفر... و... و... الخ...

قامـوس لغوي كـامل يمكن وضعه لو تتبعنـا قسمـات الوجه وحده أو هكذا يزعمون !

إنهم لـم ينسوا ذلك الذي جمدت في وجهه القسمـات، بل جعلـوا

(1) Alain : Propos de littérature p. 14 P. Hartmann Editeur. Paris 1939

جمودها دلالة الى هدوء Impassibilité . ولست أدري كيف يمكن للوجدان ألا يتحرك !

إنـه قاموس فقير جدا ذلك الذي يريد السمائيون وضعه. ويشهد الدكتور يوسف مراد بأن « لغة الاشارات والايماءات أضيق نطاقا وأبطأ تعبيرا من لغة الكلام »(2).

تخيل معي مجتمعا من البكم، وتخيل عبقريا منهم يريد أن يبحث عن تعريف اللغة ! لا شك أنـه مشير — بالاشارات — إلى ان اللغة إشارات !

كيف يمكن للابكـم أن يحدثك عن لغتـه ؟

كيف يمكن لـه أن يشير الى لغته بالاشارات وهي اشـارات ؟

كيف يمكن له أن يقول لك مثلا : تدلي جلود الوجه لا يعني الكمد فقط ؟

ندرك من هنـا أن التعبير السمـائي تعبير سطحي هو تعبير إيحائي. والايحاء لايكون الى فكـر.

الاشـارة غمـزة. تنوء بـالتحليـل. والفكـر تحليـل منشأ وتعبيرا. الاشـارة تعبير اجمـالي. هي تضـم حـالـة. هـي تستوعب موجة. والفكر غير ذي أمـواج. هو سهم مستقيم. هـو السير المطمئن. هـو لا ينط ولا يشط الاشـارة استفزاز والفكر اعتـدال.

من فوضى العبث أن تبحث للاشـارة عن باطن فكري. هي انفعـال هي رد فعل عصبي. هي التورم والتبرم. تورم عاطفي وتبرم حسي. تلك هي الاشـارة.

ميدان العاطفة والحس أرضه قلب.

الاستقرار عدو المشاعر والاحاسيس. هي ما تنفك في تحول وتقلب. هي فوريـة المد والجزر، دفـاقة السيلان، لا تخضع إلا لحينهـا.(3)

وقد قيل إن المشـارقة عصبيون، يخطبون فيشيرون !

---

(2) الدكتور يوسف مراد : مبادىء علم النفس العام ص 256 دار المعـارف بمصـر. 1948

(3) قال المثل الفرنسي : Entre l'Amour et la Haine il n'y a qu'un pas

ولا عجب أن تكون لغة الانفعالات من جنسهـا، تزول بزوالهـا متلاحقة المشاهد من نقيض لنقيض.

ولا عجب أن نعبر عما نحس بلغة الحواس، ولكن من السخف أن ننسب للسمات الفقيرة المتشابهة مضامين فكرية غنية سيالة مجردة، رغم سلامة موسى الذي أباح أن ينتهي عهد الكلمات ويجيء عهد السمات.(4)

وقد أجاب الدكتور بالارد عن السؤال التالي : « هل نستطيع التفكير بدون لغة ؟ » بقوله : « إذا أمكن التفكير من غير لغة فإن هذا التفكير لا يستمر طويلا.(5)

لاشك أن هزة الكتفين واستدارة العنق والوجه أفصح من الكلام تعبيرا عن عدم الاكتراث...

ولكن حاول أن تعبر عن عدم اهتمامك في أمسك أو غدك مستندا الى دوافع وأسباب... تدرك أن الاشارة لغة الشعور العابر، إن تعدى مداها شؤون الحواس.

إن كان الكلام اقتناعا وإقناعا، فالاشارة تأثر وتأثير (6) إنها ظهور مباشر قريب لباطن مباشرقريب.

الاشارة بروز عائم لباطن عائم

انها ظهور مباشر قريب لباطن مباشر قريب

فمن الشعوذة أن نسجل تقاطيع الوجه وقسماته أثناء الاشارات سعيا وراء استكشاف الشخصية الفردية. هي مشاعة للجميع. هي تساند الكلام وتساعده عربية كانت الكلمة أم روسية. إن الكلمة لتغيب عنك فتحولها — عفويا — إلى إشارة. لهذا قلت لدى المتمكن من لغته الحنجرية.

حول نظرك الى نفسك تدرك أنك تحس وتشعر وأن أعصابك هي التي تهتز وعضلاتك هي التي تتقلص لما تحس وتشعر.

---

(4) سلامة موسى : دراسات سيكولوجية ص 41 الشركة العربية للطباعة بيروت 1956

(5) عبد العزيز عبد المجيد : اللغة العربية وطرق تدريسها. ص 44

(5) Docteur André Ombrédane : L'Aphasie et l'élaboration de la pensée explicite p. 277. Presses Universitaires de France Paris. 1950

في الاصوات

هل كل الاصوات الانسانية معبرة ؟

هل من شأن الاصوات الانسانية أن تبلور الوجدان الانساني كله ؟

هل المقطع الصوتي هو فيصل التمرقة بين الكلمة الانسانية وصرصرة الصرصار ؟

⁂

أسئلة لست أرى لها مفرا من التعريج على بعض المغالطات التي سعى بها بعض الادباء والعلماء لرفع اللغة الملفوظة – كتابيا – الى أعلى درجة من سلم القيم اللغوية.

أسئلة تكشف الاجابة عنها عن قيمة الصوت في الوجود اللغوي ودوره في حياة اللسان لدى الفرد والجماعة.

⁂

من العبث أن نجهد النفس ونضيع الوقت النفيس في تسجيل الاصوات الانسانية المختلفة، جهوريها وأجشها صارخها وهامسها، متناغمها ومتنافرها منسقها وعشوائيها... لجدولة المعبر منها... لتعداد المشحون منها... لتقدير الكهرباء الايجابية فيها.

عبث كل ذلك وتعمير للفراغ.

⁂

إنك لتريد أن تشحن صوتا من الاصوات معنى – وقد يكون مغايرا لمعناه المألوف – فتفعل

وإنك لتريد أن تعيد صوتا شحنه غيرك معنى فتفعل، وقد تكون اعادتك له على سبيل المزح أو التنكيت والمسخ أو الحفظ أو الببغائية والتقليد.
وإنك لتحدث أصواتا حنجرية لا تريدها، فتسعل إن أصابك زكام وتتجشأ إن أفرطت في تناول التوابل، وتغط ان التوى منك العنق عند نوم فيصبح السعال والتشجؤ والغطيط تعبيرا عن زكام وسوء هظم والتواء عنق.

وتفرط في ترديدك : يعني – سيدي ربي يهنيك – فهمتش – هاكا هو – عاد – يا مرحوم الوالدين. الخ... إفراطا ليس الى التعبير بقريب.

أكد بويسون أن اللغة اللامقطعية مشاعة للانسان والحيوان وأن "اللغة المقطعية خاصة بالانسان". (7)

تصنيف الاصوات على أساس المقطعية واللامقطعية كما فعل بويسون — تصنيف ينقضه التاريخ نقضا ويرفضه الواقع رفضا.

فهو تصنيف يتضمن الاعتقاد بأن :

— اللغات مقطعية النشأة من الوجهة التاريخية باعتبارها جهازا صوتيا ممقطع التكوين.

— اللغة اللامقطعية — لدى الطفل — لا معنى لها ولا معنى لاصواتها وأن الطفل المريد واللامريد لايعني شيئا قبل أن يمقطع أصواته في النسق اللغوي المألوف.

— اللغات كلها ممقطعة البناء.

وهو تصنيف يتجاهل أن أحد الفوارق الاساسية بين الفرنسية الفصحى والفرنسية العامية مثلا يتجلى في تبسيط العامية للمقاطع أو اسقاطها اياها تماما

لكي ندرك علاقة الوجدان بالاصوات علينا أن نبدأ من الوجدان لا من الاصوات.

ولا عجب أن يصل بويسون — وقد انتهج السبيل المعاكسة — الى نتائج شبيهة بتلك التي حصل عليها الزاعمون بأن الشمس منبع النيل !

من زيغ النظر أن نؤرخ حياة الشيخ ابتداء من شيخوخته وانتهاء إلى ما ورثه عن أبيه وأمه من جسد وطبع.

ذلك أن الكائن الحي يفعل وينفعل فيتطور. يؤثر ويتأثر فيتغير شأنه يغذي ويتغذى فينمو.

واللغة كائن حي يتفاعل فيه الفعل والانفعال. لها في الفرد أثر ولها منه أثر. لها من المجتمع غذاء وله منها غذاء. مدّها اشعاع وجزرها امتصاص.

(7) Ferdinand Buisson: Dictionnaire de Pedagogie et d'instruction Primaire p. 1117. Hachette - Paris 1882

لها في الناس جذور ولها منهم جذور. وجودها في الفكر ووجود الفكر فيها.

إن الدراسة اللغوية التي تغفل شأن هذا التخاصر بين اللغة والفكر والمجتمع دراسة لَغْوية لا لُغَوية.

تقييم المعنى حسب المقطعية واللامقطعية تقييم لا قيمة له. إثبات النية بثبوت الحدث اتهام أكثر مما هو اثبات. الحكم باللامعنى استنادا الى اللامقطع حكم جائر.

الحكم الذي يثبت للكلمة المقطعية معنى ينكره على الكلمة اللامقطعية حكم يسخر الفكر للمقطع. هو حكم يحول اللغة الى مقاطع مرصوفة، الى قوالب صوتية متلاحمة.

الاصوات محدودة الانغام. القول بجوهرية المقطع قول بأن اللغة محدودة النمو وقول بأن الفكر محدود المدى.

ألا ما أقصره فكرا هذا الذى تقف خطواته عند الحدود الصوتية إذا تمقطعت وتلولبت !

∴

والعجيب في هذا الشأن أن القائلين بجوهرية المقطع الصوتي في التعبير قد اتخذوا لزعمهم حقائق حسبوا أنها حجج لهم.

قالوا إن الذين لا يفهمون اللغة المقطعية ولا ينطقونها ذوو تأخر عقلي كبير.

وقال صالح الشماع :

« درس اثنان من الباحثين عشرين طفلا في سن سنة ونصف فوجدا أن 26 في المائة من أصواتهم كانت ذات معنى، وعندما بلغت سنهم سنتين ونصفا كانت نسبة المقاطع ذات المعنى 89 ٪ وبعد أربع سنين بقليل بلغت النسبة 99،6 ٪ »(8).

وقال محمد خلف الله :

---

(8) صالح الشماع : اللغة عند الطفل من الميلاد الى السادسة ص 49 دار المعارف بمصر — 1955.

« إن الاطفال لا يـراعـون الترتيب فيمـا يسردون ولا المنطق فيمـا يـرددون »(9).

∴

لقـد كنت تقرأ الآن نـوعـا رصينـا من أنواع الدجـل الكثيـرة !

لقد كـان فهم الطفولـة قائمـا على تصغير الرجولة بتخفيف وزنهـا وتقصير قـامتهـا وقلع أسنـانهـا وإفراغ دمـاغهـا وترقيق عظمهـا...

وقد مرت القرون قبل أن يفهم الناس – والاقتناع لم يجد بعد – الى نفوس بعضهم مدخلا – أن شخصية الطفل مختلفـة عن شخصية الكهل اختلاف كيف لا اختلاف كـم، وأن وحدة القيس لدى الطفل مختلفة عنهـا لدى الرجل اختلاف نوع لا اختلاف حجم.

وقد عجـز العلمـاء عن الاتفاق بخصوص ظواهر اللغـة لدى الطفولة الاولى « رغم أن المناهج المتبعـة في دراسة الطفولة قد زاد إتقانهـا الى أكبر الحدود والجهود المبذولة من جانب العلمـاء والباحثين شيء فوق التصور » (10)

وإن هذا العجز عن الاتفاق يدعونـا وحده – الى المزيد من الحذر عند الحديث عن أصوات الطفل – مقطعيهـا ولا مقطعيهـا – في امتلائهـا بالمعنى أو فراغهـا منه !

قيل إن الذين « لا يفهون اللغة المقطعية ولا ينطقونهـا » ذوو تـأخـر عقلي كبيـر (11)

هي حقيقة، فهم منهـا القائلون بجوهريـة المقطع الصوتي في اللغة أن لافكر بدون مقطع. أن لا معنى بدون مقطع، أن لا فكر بدون صوت، أن لا معنى بدون صوت.

هي حقيقـة، فهم منهـا هؤلاء أن الصوت هو كل شيءفي اللغـة.

---

(9) محمد خلف الله : الطفل من المهد الى الرشد ص 31 المطبعة الرحمانية بـمصـر. 1939

(10) صالح الشمـاع : اللغـة عند الطفل من الميلاد الى السـادسـة. ص 49 دار المعـارف بمصـر. 1955

(11) Henri Delacroix : L'enfant et le langage. p. 107 Lib. Felix Alkan Paris 1934

غـاب عنهم أن اللغة نتاج اجتماعي. أنها ظاهرة اجتماعية. أنهـا ميزة المجتمع البشري. أن لا لغـة بدون مجتمع بشري.

غاب عنهم ان المجتمع هو ذلك التاجر بالجملة يتوسط اللغة والفكر .

غـاب عنهم أن سبيل الفكـر الى اللغة يمرّ بالمجتمع لا بد للفكـر من تعريج على المجتمع كي يأخـذ منه بردته وعصاه. بردة الفكـر من نسيج المجتمع.

أكثـر مـن هـذا .

الفكـر يصنع نفسه حينما يعبر عن نفسـه. هو إذن لا يصنع نفسه إلا بعد تعريجه على المجتمع. لا فكـر إلا في المجتمع البشري. لا فكر الا بالمجتمع البشري بين الميلاد الفكري والميلاد اللغوي مجتمع. المجتمع هنـا معمـل تصنع فيه من القوة الفكريـة فعلا فكريـا. هو الفرق الذي يزودك بالطاقة التي تجعل من هيولاك صورة تقرأ أو تسمع.

غاب عن القائلين بجوهرية الصوت المقطعي هذا المنعرج الاجتماعي.

جعلوا الصلة مباشرة بين الفكر واللغة عند تحول الفكر الى لغة. جعلوا الصوت المقطعي نابعـا من الفكـر في خط مستقيم.

أغفلوا الجسر الاجتماعي الذي زود الفكـر بمـا يتـوكأ عليه.

جعلـوا العجز عن المقطعة قصورا فكريـا.

وقد نسوا – أو تناسوا – أن المقطعة شيء يلقن، يحفظ، يورث، يـكتسب.

أغفلوا – إذن – أن العجز عن المقطعـة يمكن أن يكون عجزا عـن حفظ المقطعـة، عن اكتسابهـا.

أغفلوا – إذن – أن العجز عن المقطعـة يمكـن أن يكون عجزا تربويـا، عجزا اجتمـاعيا، عجزا نفسيا أو عجزا حسيـا.

الاصوات المقطعية أصوات غير غريزية. هي أصوات مكتسبة. هي تندرج في المعارف الانسـانية. والمعارف مداخلهـا الحواس.

العجز عن تلقي الاصـوات المقطعيـة عجز عن تلقي المعرفـة. قد يكون –

---

(12) Maurice Pradines : Traité de psychologie générale. T II p. 417 Presses Universitaires de France .Paris 1948

إذن - عجزا حسيا. قد يكون - إذن - عجزا فيزيولوجيا وقد يكون عجزا نفسيا أو تمردا نفسيا أو خللا عصبيا.

⁂

وكذلك الشأن فيما يتعلق بأصوات الطفولة الاولى.

الحكم على اللغة اللامقطعية لدى الطفولة الاولى - حكم الكهولة بمقياس الكهولة - ضرب من الجور.

أليس الجور في زعم محمد خلف الله حينما قال إن الاطفال لا يراعون الترتيب فيما يسردون ولا المنطق فيما يرددون. ؟

لولا أنه أردف أن المنطق "والمحافظة على الحقيقة وليدا الاجتماع" لكان زعمه سبا وشتما !

ذلك أن للطفل منطقه الفردي وترتيبه.

أن يزعم أن بعض أصوات الطفل غير ذات معنى مألوف لتلك الاصوات فقد يكون زعما مباحا، وأما أن يزعم أنها غير ذات معنى - إطلاقا - فذلك زعم يستوجب استدلالا ويستوجب - بعد ذلك - تعليلا.

ثم على أي شيء يدل خلو أصوات الطفولة الاولى من المعنى المألوف؟

أعلى فراغ في وجدان الطفل ؟ أعلى تبلد في حسه وشعوره ؟

أليس أقرب الى الصواب أن ننسب ذلك الى أن الطفل لم ينسجم - بعد - في مجتمعه ؟

⁂

اللغة اللامقطعية طلاسم مغلقة بالنسبة إلينا. هي - عندنا - لا تعني شيئا. لكني لست من المؤمنين بلا جدوى الظواهر. ليس من السهل إنكار شيء لا ندركه. هو يتطلب من الادلة والبراهين ما يتطلبه الاثبات وأكثر ! الاصوات اللامقطعية أصوات فردية. هي ليست لسانا. لكنها - عندي - قد تكون لغة !

البحث عن نوع ما يدور في وجدان الطفولة اللامقطعية الاصوات من هنا يجب أن نبدأ ،وفي البدء منه ندرك علاقة الوجدان بهذه الاصوات

لست أشك في وجود نوع من العلاقة بين الدماغ والحنجرة. ولست أشك في وجود علاقة متينة بين الاعصاب والحنجرة.

لكنه من الافراط في تبسيط الامور أن نربط بين المعنى والصوت ربطا نهائيا. من الافراط في "الشعبية" أن نزوج بين بحر وكأس شاي، بين عملاق وقزم، بين صاحب المليارات والمتسولة.

الصوت – وحده – قناة ضيقة لا تسع التيار الفكري والشعوري الزاخر.

نعم، لست أنكر – وتشهد بذلك حكايات الصوت Onomatopées في مختلف اللغات – أن مخارج الحروف كانت شديدة الايحاء بالمعنى، وثيقة الصلة بالوجدان الناطق وأن الصوت كان "مندفعا في صمت الكلام"(13) الانساني منذ كان آلة تعبير انفعالي بحت.

لكنه من الخطا – عندي – أن نزعم أن الصوت ضمان المعنى وأن الفكر رصيد صوتي. من الخطإ أن نؤكد أن الفكر يتنفس من رئة واحدة نسمعها ولا نراها. إن فكرا من هذا الطراز فكر ناقص. هو رنان لكنه لا يدوم. هو ذاهب مع الريح.

*

من الخطا أن نجزم بأن كلمة (حجر) بحائها وجيمها ورائها تعبر – صوتيا – عن مادة الحجر.

ومن الخطا أن نجزم بأن كلمة (شفقة) بحروفها الاربعة تعبر – صوتيا عن حالة وجدانية معينة.

لو كانت الحقيقة ما زعم الصوتيون لفهم الامريكي من الكلمتين ما أفهمه منها، بما أن القضية قضية حناجر وهي متشابهة لدي ولديه !

ثم ما للفرنسيين – والقضية قضية أصوات – لا يقولون Sacaner عوضا عن Habiter أو لا نقول : هَبَتَ عوضا عن سكن ؟

لو كانت الحقيقة ما زعم الصوتيون لكان لله معنيان مختلفان في العبارتين :

(13) Maurice Pradines : Traité de psychologie générale T II p. 412 Presse Universitaires de France. Paris. 1948

(أومن بالله) و(قال الله) بما أن صوت (الله) في هذه يختلف عنه في تلك ! لو كانت الحقيقة ما زعموا.

– لكانت الجملة التالية مليئة بالتكرار جوفاء من كل معنى(طرقت الباب حتى كل متني. فلما كل متني كلمتني).

– لما أمكن أن نقرأ (بيتا) من الشعر ونسكن (بيتا) من حجر.

– لما أمكن أن يكون في الناس (مولى) يقود و(مولى) يقاد.

– لكنا (نعقل) المشكل كما (نعقل) الدابة فنستعمل في الادراك ما نستعمل في القيد من سلاسل وحبال.

لو كانت الحقيقة ما زعم الصوتيون :

– لكنا نكتب كما ننطق، بما أن الاصل – لديهم – ما تقرعه الشفاه.

لو كانت الحقيقة ما زعم الصوتيون :

– لكنا نكتب كما ننطق، بما أن الاصل – لديهم – ما تقرعه الشفاه.

مالنا – إذن – لا نسخر همزة الوصل لقانون الصوت فنحذفها ان توسطت ؟

ما لنا – إذن – لا نسخر أسماء الاشارة لقانون الصوت فنزج بين هذا وذلك وهؤلاء ألفا حكم عليها أن تحتجب ؟

ما لنا – إذن – نسمح لعمرو الداهية بأن يختلس "واوه" من داود الصبور ؟

ما للفرنسيين – إذن – لا يطرحون عنهم هذه الـ E البكماء وهذه الـ S في آخر الكلمة وما للانكليز لا يكتبون كما ينطقون ؟

لو كانت الحقيقة ما زعم الصوتيون لكان للسطرين التاليين معنى واحد :

Gal, amant de la Reine, alla, tour magnanime,
Gallmant de l'aréne à la tour Magne, à Nimes

ولكن للسطرين التاليين معنى واحد :

L'inspecteur dit : le Maître est un âne
L'inspecteur dit le maître, est un âne

(14) Geo-ges Galichet : Phisiologie de la langue française p. 21 Presses Universitaires de France. Que sais-je?. Paris 1949 (citation de Marc Mounier)

إهـــــداء

قصيد بقلم : احمد المختار الهادى

بعدما حطمنا الشوق وأضنانا العياء...
والشقاء...
آه كم تهنا ولم نبصر لنا أي طريق...
وكلانا كان يحيا في حريق...
ضامىء الاشواق مشبوب النداء...
لم يعش الا على خيط رجاء...
مده الأمل من نور الوفاء...
آه كم قد لفنا صمت عميق...
وكلانا كان يحيا في حريق...
وكلانا كان في الوجد غريق...
رغم اناقد عرفنا الحب يوما...
وجنينا منه غنما...
وزرعنا في فضاه الرحب نجما
غير أنا ما اهتدينا...
لا ولا عادت حكايانا إلينا...
كيف تهنا...
فمضى كل شريدا في طريق...
طاويا في قلبه حبا عميق...
وحكايات من الامس السحيق...
كان في أحضانها طيف شروق...
رغم أن الليل يعشي مقلتينا...
نحن سرنا في مطاويه الهوينا ...

غيـر أني كنـت وحـدي.
فـي طـريق...
أحمـل الاشواق في سقمـي وسهـدي...
لا أرى الا خيـالات صديـق...
في متـاهـات سـراب ودخـــان...
حـــالمـا فـي عنفـوان...
بغـد يلقـى بـه وجه رفيـق...
بغـد يـزدان بالحب العميـق...
واهتـدينـــا...
بعدمـا أنهكنـا طـول المسيـر
بعـدمـا عذبنـا الشـوق المريـر.
فالتقينـــا...
والتقـت يـومـا خطـانـا فـي طـريـق
وحـوانـا درب أيـام الحيـــاة
رافـــلا تنتـر فيـه الامنيـات.
فمشينـا...
وشجيـرات حـوالينـــا تميـل.
والخميـل...
قـد غـدا نبعـا لاحـلى الاغنيـات.
عنـدمـا كنـا نسيـــر...
قـد رمينـا ذلك الحرمان في وادي السعيـر.
فكـأنـا قـد خلقنـا مــن جـديـد
عندمـا هدكـلانـا شقوة الامس البعيد
وتخلصنـا من الامس اللـدود
ودفنـاه... شهدنـا مأتـم الشقوة يـومـا
يوم ان جئنـا لذيـــاك اللقـاء
يوم أن وشح فجر الحب بالنـور السمـاء

في صباح فاتن الطلعة أزهر
مونق يزدان بالدفء المعطر
لفنا منه ضياء... وانتشاء
كان فجرا باسما...
كان صبحا حالما...
غلغلت أضواؤه فينا فطرنا في الفضاء
كملاكين الى عرض السماء
نتناجى حيث جاورنا النجوم...
في تخوم...
لم يزرها بشر قط سوانا
لم تطأها في الورى الا خطانا
وهناك...
حين ضمتني يداك...
لم أعد أدرك ذاتي ووجودي...
وحدودي...
بعدما مزقت وهمي وقيودي...
ذاك أنا قد سمونا بهوانا
وبلغنا فوق ما يرجو سوانا
فكأنا قد خلقنا من جديد
عندما نحن اهتدينا
والتقينا
بعد أن شردنا الامس البعيد...

— احمد المختار الهادي —
— معلم — بالمتلوي —

ندوة القراء

... وعلى نفسها جنت براقش

بقلم : عبد المجيد بنجدو

اعيذك يا شيخ من ان تتمرأ بنا ، وأنت من أنت أدبا ومروءة ، ولقد عرفت فى صباى من فضلك وعلمك وأدبك بالقدر الذى يدركه طفل صغير ، ولم أجرؤ بعد ذلك ان أقلل من شأنك ، او ان اعرفك بوجه غير الوجه الذى عرفتك به ·

وانى أربأ بك من أنك انت الذى كتبت ما كتبت ، لانه كان يكشف عن سوأة لو كان بيدى الامر لسترت منها الذى يحفظ عليك كرامتك ، ويرد عليك فضلك · ولأخذت من يدك خنجرا زلت به يدك ومالت به عنك لك ، ولجنبتك الارتطام بصخرة ، ما كان لك ان تزحزحها · ولم ارض لك ان تكون الوعل الذى أوهى قرنه ·

وأنى لأخشى ان يشملك ما كان قاله الشاعر ولا اعنى هنا خزنه دار رحمه الله وبرد ثراه ·

مستسهلا حتفه مستصغر الرامى ·

بل

كناطح صخرة يوما ليوهنها

فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

وحاشاى أن اقول لمعلم أدبنى صغيرا مثل هذا القول وان أجاهره بمثل هذه الكلمات النابية ، التى تخرج بالنقد ، وبالحديث فى الادب الى الاحقاد والضغائن ، فما كان اغنانا عن الوقوع فى مثل هذه التخرصات ·

وما احرانا بأن نتحدث فى شعر خزنه دار وحسب ، ذلك الشعر الذى سجله التاريخ ، وكتبت حسناته وسيئاته على الشاعر ·

فاذا ما تعرض له الدكتور السامرائى ، فانما يتعرض له بوصفه شعرا عربيا ، والشعر العربى نابع عن وطن كبير هو الوطن العربى الذى ينتمى اليه الدكتور السامرائى ، فلم يهاجم هذا الدكتور أدبا تونسيا ، ولم يتهجم على امارة لا شأن له فيها ولا تمسه من قريب ولا من بعيد ، بل تهجم عليها بوصفها امارة عربية

ثم ان اساءة السيد الهادى العامرى واساءتك انت من حيث اردتما الاحسان كانتا اشد على أدب خزنة دار من تهجمات السامرائى بحق وبغير حق ٠

فلا يكتفى السيد الهادى العامرى بما نقله لخزنه دار من شعر مهلهل ضعيف يحط من قيمة الشاعر ولا يدفع عنه تهمة ، بل أضاف الى ذلك تلك الاخطاء المشينة فى النقل ، أما انت فأقورت ما كان اورده العامرى فى الاستدلال ونقدته أجراواحدا ، وجريت فى هذا الثواب ٠ على غير حق ، واشتريت من الهادى العامرى نيته الحسنة باكثر من الثمن ، بل ذهبت مذهبا كثر فيه الشطط ، ونم عن نية مبيتة فنسبت أخطاء العامرى لى ، وآخذتنى بما كان عليك ان تؤاخذه به،فسألتنى لماذا لم ارجع الى الديوان فأصلح ما افسده العامرى،وكان عليك ان تسأل العامرى ، وذلك اجدى بك واجدر بعمل نقدى يصدر عن شيخ يحب ان يكون بصيرا بالامور ، وان يكون نقده اعود بالنفع على القراء الذين يريدون ان يخرجوا من هذا الجدل بفائدة ٠

لم يكن ردا ٠ ولا نقدا ٠ ولا شيئا من الادب والعلم هذا الذى يكتبه الشيخ احمد خير الدين ٠ بل هو هراء وسهام طائشة ، لم تصب الذين نقدوا شعر خزنه دار بشيئا ، ولم ترم منهم مقتلا ولم تكشف للباحثين أمرا جوهريا يرجعون اليه ، ويقفون عنده ، فكل ما كتبه هذا الشيخ ، لنا ان نعتبره عملا مشوشا لا منهجية فيه ، وانك لتشعر وانت تقرأ حديثه فى الرد ان الشيخ كان كمن يطحن القرون فمى حديثه جعجعة ليس لها طحن ٠ فهو يقف فى رده بين امرين اثنين ،فلا يعرف ايهما يختار ، ايدافع عن أمير الشعراء ، ام يعرض بمن نقده ، ولكنه فى الآخر اهتدى الى الأمر الثانى ، لان سلاحه فى الدفاع عن أميره كان مفلولا تنقصه الحجة والبرهان فماذا عساه يقول :

وخزنه دار مورط لا محاله ، وشعره لا يصلح ان ينهض حجة على شاعريته ٠ والذى يلفت النظر فى كلمة احمد خير الدين انه كان يجتهد اجتهادا فى طمس المعالم الحقيقية ، وذلك بابراز بعض الجزئيات التافهة التى لا شأن لها واطالة الحديث حتى يميل برأى الفاحص المتتبع عن الحقيقة بعض الشىء عن سواء السبيل ولكن انى له ان يظفر بذلك ، والمسألة قد أخذت طريقا جدية فى الجدل ، وقطعت اشواطا لم يلحق شيخنا الا نهايتها ، وانت تلمس من مقاله انه خالى البال مما قيل او كتب حول الشاذلى خزنه دار ، او هو يتعمد اخفاء هزيمة نكراء نالت اميرا قد يكون بايعه شيخنا المحترم ، وانى سأضع فى هذه المرة تخطيطا واضح المعالم مكشوف الخطوط ، حتى تعلموا من امر خزنه دار ما اجتهد السيد خير الدين ، فى طمسه واخفائه ٠

كتبت فى عدد نوفمبر 1963 لمجلة الفكر ردا بعنوان (بين العامرى والسامرائى) ، تعرضت فيه لاقليمية السامرائى ، وضعف حجة العامرى ، حيث أساء الاستاذ العامرى للشاذلى خزنه دار من حيث اراد احسانا ، وانى مورد لكم الابيات ، التى جاءت فى دفاع العامرى للدلالة على شاعرية خزنه دار

واضعا خطا تحت كل مأخذ من مآخذها • يقول العامري في معرض الاستدلال :

وهـذي خضـراء البـلاد حنينهـا يكـاد يهـز المشرقين مـرددا
وهـذي صرخـاتي كـذابي بينكـم على الحق ما حادت ولا ذهبت سـدى
فكونـوا••• كما شاءكم خير أمـة مع الحـق انصارا على الناس شهـدا

ينسب العامري هذه الابيات الى خزنه دار ، وينفي ذلك احمد خير الدين ، مجانا ودون أية حجـة وهـذا لا يهـم في قليـل ولا في كثير ، فاني لاحسب العامري أصدق في دعواه ، لان هذا الشعر من ذلك النبع وهـو لا يختلف من حيث مبناه وصوره واخيلته عن شعـر خـزنه دار ، ولكن فلنسلم جـدلا بان العامري نسبها جهلا او غلطا الى خزنه دار ، فلا ينفي كل هذا ان الشيخ خير الدين تصدى للدفاع عنها ، ووهم انه ارجع المياه الى مجاريها والحق الى نصابه ، ولم يفعل الشيخ من ذلك شيئا ، وابقى دار لقمان على حالها •

ان الاخطاء العروضية الواردة بهذه الابيات الثلاثة كانت أربعة وهي :

1 **وهـذي خضـراء البـلاد حنينهـا**
2 **وهـذي صـرخـاتي كـذابي بينكـم**
3 **فكونـوا كما ؟•• شاءكـم خير امـة**
4 **مع الحق انصارا على النـاس شهـدا**

أهل لنا ان نعرف السبب الذي جعل شيخنا المحترم لا يجيب الا على أمـر واحد • وهو تخريجه شهدا على صيغة ركع وسجد بتشديد الهاء حتى يستقيم الوزن ، ثم هو يحاول بعد ذلك ان يعطي درسا في العروض ، وحـدا للفاصلة الصغرى والكبرى • ويجعل قولي فهل من فاصلة كبرى في الطويل مردودا لان الفاصلة في هذا البيت كانت على غير مـا وصفتـه انا فهي فاصلة صغـرى لا كبرى • وهكذا يقع الشيخ حفظه الله في خطأ ما كان له ان يقع فيـه • اذ انه اهمل السين في الناس ولم يعدها مع السين والهاء والدال • وهكذا ترى ايها القارىء الكريم انها عندما تضـاف السين في النـاس الى شهـدا في الكلمـة الموالية لها تصبح فاصلة كبرى كما قلت انا ، لا فاصلة صغـرى كمـا توهـم الشيخ خير الدين اللهم الا ان يكون في ظن الشيـخ ان الفـاصلة لا يمكن ان توزع على كلمتين ، وهذا خطـأ يجدر بالشيخ ان لا يتورط فيه ، على ان هذا التخريج الذي خرجه من انها كركع وسجـد لم يصـدر الشيـخ فيه عن رأى صحيح ، او مقابلة جدية ، ولم يرجع فيه الى المـؤلف ، وحتى عندمـا احتـدم النقاش شفاهيا بيني وبينه في هذه المسألة بالذات كان الشيخ لا يعـرف ان شهدا تخرج مخرج ركـع وسجد الا عندما لفت أنا نظره وقلت له اللهم الا ان نقرأها شهد بالتشديد ، فاخذ الشيخ المنجد من درج مكتبه ، يتصفحه ملتهما مادة شهدا ، حتى عثر على صيغة شهـد وكان هـذا بمحضـر شيخين جليلين فكان الشيـخ حفظـه الله كمـن ظفـر ببيضـة الـديك ، وصـاح بـي ، ان

الشـاعر انمـا كان يـريد شهد بالتشديد ، وهـذا المنجـد ذكرها فى صيغ الجمع وكان على ان اقبل من الشيخ هذه الدعوى للتحرى ، حتى لا يقع الناقد فى اخطاء قد تقلل من شأنه ، وتضع من قيمة نقده • وان كنت أشـك فى أن الشاعر أرادها شهدا بالتشديد لانه انمـا اراد ان يضمن الآية الكريمة والآية بتحريك الهاء •

وانى لأميل شديد الميل الى ان الهاء غير المشددة ليقع تجـانس القصيـد ، فان الاخطاء السابقة ، تلك الاخطاء التى لم يتعرض لها الشيخ ، تبـرر هـذا الخطأ الاخير •

ثم ان الشيخ يجعل ألف شهدا ألف وصل ، وهى ألف المـد اذا عرفنـا ان الكلمة فى الاصل شهداء بالهمز ، فألف الوصل هى ألف الاشباع ، وحتى ألف شهدا بالتشديد فهى كالألف التى نجدها فى قرأت كتابا ، امـا ألف الـوصل فهى التى نجدها فى اشفقت على احمد ، وانى لا أحب ان أؤاخذ الشيخ بهـذه الألف ، فقد قال الشيخ فى مناسبة قريبة ، انه يجهل العروض وانه لم يتوفر له ان درسه الا حين وقـع تكليفه بتـدريسه ، على ان تخـريج الكلمة مخـرج شهــد بالتشـديـد لا يكـون شفيعـا فى الاخطـاء الاخـرى التى اهملهـا الشيـخ ولـم يعرهـا أيـة التفـاتــه ، لان همـــه لـم يكـن انـصـــاف الادب وارجاع الاشياء الى نصابها ، بل كان مجرد التوريط والتعريض وتشويه الحقائق • وما كان اجدر مثل الشيخ خير الدين ان لا يقوم بدور محام فاشل ، واهمس لشيخى بان هذا البحر ، هو الطويل ، وانى لادعـوه لان يقطـع هـذه الابيات حتى يتبين له ان شهدا ليست هى العيب الوحيد حتى اذا حذفت من نقدى ، سلم القصيد من العيوب •

ولا ارى مندوحه من ان اذكر له وزن الطويل وهو فعولن مفاعيلن فعـولن مفـاعلن مع الابيات مرة أخرى حتى يراجع نفسه وحتى لا تجنى على نفسهـا بـراقش •

وهـذى خضـراء البـلاد حنينهـا يكـاد يهــز المشــرقين مــرددا
وهـذى صرخـاتى كـدأبى بينكـم على الحق ما حادت ولا ذهبت سـدى
فكونـوا كمـا شاءكـم خيـر أمـة مع الحق انصارا على النـاس شهـدا

احسبك ادركت يا شيخنا ان شهدا لم تكن هى الهفوة الوحيدة فى القصيد وان للحديث بقية ، ولكنى اراك اهملت هذه البقية ، فماذا كان يدعوك الى هذا الاهمال ، والوقوف عند هذا الدفاع المنقوص • ام كان ذلك مبلغ العلم عندك ، وحاشاك ان تكون كما يظن بك رجل السوء • على انى اراك اغفلت خطأ ثانيـا وقع فيه خزنه دار وهو لعمرى خطأ فاحش لم تتعرض له ولم تناقشنى فيه فما الذى الهاك عن الرد ، فلو عدلت عن نكتة ترحى وترخى الى جـوهر الموضوع

لكان ذلك بك اجدى وعلى الفاحص المتتبع اعود بالنفع • واكثر جدوى من نكتة رخيصة مجتها الاسماع ولم تعد لها من سوق فى دنيا الناس هذه • مع ما فيها من سوء الادب مع القرآن •

وهذا الخطأ الثانى يتمثل فى هذا البيت الذى لم تنكر انه للامير خزنه دار :

ومـا المجـد بالميسور ـ ويحـك ـ نيلـه

فـلا بـد للاحـــراز عنـه مـن الـفـــدا

وقد كنت قلت فى حـديثى عن هذا البيت ان احـرز فعل متعد بنفسه فلا يقال احرز عن الشيء بل احرزه • وليس من الجائز فى الشعر الزام المتعدى ولا تعدية اللازم •

انك يا شيخنا سكت ، ولم تقل شيئا عن هـذا البيت يظهـر انك راجعت كل كتب اللغة فوجدت صواب رأيى ، فلم تزكه لانك كنت فى معرض تغطية الحقائق بعيدا عن النقد النزيه المبـرأ عن التخرصـات انـا جعلت الادب قبل الاشخاص وقبل خزنه دار اما انت فاراك جعلت خزنه دار قبل الادب والادب اعلى واكبر من كل الاصنام ، فاذا جاء الاسلام بتطهير العقائد من الـوثنية ، فعلينا نحن ان نخلص الادب من الاصنام • انا لا احقد على خزنه دار حينمـا اجعله صنما • لان الصنم لا يحقد عليه ، بل اريد من خـزنه دار وجـه الادب لا وجهه •

وانى اجتهدت كثيرا فى التماس الاعذار لخزنه دار وتمنيت ان يكـون التصحيف ، ورجوت ان يكون العامرى هو الذى اسـاء النقـل ، ولكنى رجعت الى ديوان خزنه دار كما احببت يا شيخنا فاذا هو هو كما أحب ان يقدمه لنـا الاستاذ العامرى •

انا اعرف الشيخ احمد خير الدين منذ صبـاى ، اعرفه حين كان معلمى ، أعـرفه نحـويـا ، ولكـن منـذ عهـد الصبـــا الى اليـوم انقطعت عنـه ، ولم يبق فى ذهنى من علمه وفضله الا بقدر ما يراه من لم يبلغ العـاشرة من عمره • وانى عارض عليه هذه المشكلة اللغوية والنحوية •

ففى صفحة 42 من ديوان خزنه دار ، ورد هذا البيت :

دعـهـم يـريقـوا يـزهقـوا يستنـزفـوا

ينفـوا يبيـــدوا يفعلـــوا مـا شـــاءوا

فى قصيد ضحايا الاعتصاب •

أليس من الحق ان يقال يا شيخنا : دعهم يريقون يزهقون فالاراقة لم تكن فى حيز الطلب ولا الازهاق ولا الاستنزاف ولا النفى ولا الابادة ولا الفعل •

انه لا يروقك طبعا ان تصدمك الحقائق هكذا ، قد يكون ذلك لانك عشت فى جيل قتلته المجاملات ، وقضى على الشعر فيه أدب البيوتات ، ان الشعر يا شيخنا الوقور اصبح كسبا شعبيا لا يصلح التسامح فيه ، ولا تنميه المجاملات التى بلغت احيانا مرتبة النفاق ٠

ان اخفاء الحقائق يا شيخى لا يجدى الادب فتيلا ولم يعد بوسعك ولا بوسع احد غيرك ان يغالط التاريخ ٠ أو يطمس الحقائق ٠

ثم هل احسب ان سكوتك عن هذه الاخطاء التى لم تتعرض لها من باب المجاملة ؟ حاشا ان اعرض شيخنا لمثل هذه الحماقة ٠

وهذا خطأ آخر ورد فى مقالى ولا يعرض له الشيخ بكلمة وهو يتمثل فى قول أمير الشعراء :

ما السجن والابعاد عار انما
ما العار الا العجز والاذلال
كم من شريف فى القيود مكبل
وفتى وضيع سره التجوال
هذا يرى ٠ ٠ ٠ الحياه تنفسا
وسواه ذلك ٠ عنده القتال
دون اقتناء المجد كل كريهة
فاصبر لها تتحسن الاحوال

قلت فى كلمتى ـ ان الشاذلى خزنه دار يورد بعد اداة الحصر «انما» «ما» النافية فما كان يدعو الشاعر الى هذا الحشو وماذا يقصد باداة الحصر وقد اغنته «ما» النافية ووفت بالغرض ٠

ان ـ خير الدين شيخنا الكريم ـ يصاب هنا بالخرس فلا يحير جوابا ٠ وتعرضت الى قوله :

دون اقتناء المجد كل كريهة

فاصبر لها تتحسن الاحوال

وهو من قول المتنبى :

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى

حتى يراق على جوانبه الدم

ولكن اين الثرى من الثريا ٠

وهل بلغ بهذا المعنى مرتبة شوقى الذى صاغه احسن صوغ ، وكساه أبهى حلة واجملها حيث يقول :

ومـا نيــل المطـالب بالتمـنـي
ولكـن تؤخـذ الدنيـا غلابـا

ثم ما معنى : وفتى وضيع سره التجوال بل ما معنى كل هذه الابيـات ولا احسبني في حاجة الى ان أدلكم عما في هـذه الابيـات من السخف والتكلف والبعد عن الفن والشعر ٠ فهل من شاعرية ايها القارىء في هذا الكلام أنا اذا كنت اعرف فضل هذا الشاعر ، ووطنيته وغيرته ، واستقامته واندفـاعه فلا اعرف له بيتا واحدا من الشعر مما وقع في يدي من شعره ـ ويؤاخذني الشيخ احمد خير الـدين بجـريرة الاستاذ محمـد العـامري الـذي أورد البيت في مقاله هكذا :

هـذا يـرى الحيـاة تنفسـا
وسـواه ذلـك عنـده القتـال

وانا عندما تحدثت عن هذا البيت تحدثت عنه كما نقله العـامري ؛ فالذي كان عليه ان يرجع للديوان ليس أنا بل الرجل الذي اختار هذا البيت للرد على الدكتور السامرائي ٠

اما لو كنت أنا ٠ فاني لأجد في اهماله وعدم ايراده وفاء لاميرك خزنه دار يا شيخنا ٠ واني لأرى ان السكوت عن هذا البيت من باب اذكر موتاك بخير ٠

ثم اني اسألك وقد رجعت الى الديوان ووجدت البيت هكذا :

هـذا يـرى معنـى الحيـاة تنفسـا وسـواه ذلـك عنـده القتـال

هل في هذا الكلام من معنى يا شيخي وما هي مواطن الجمال فيه واى شعر يكون هذا ٠ اما أنا فالقى التبعة على ذوقك ٠

وعلقت ايها الشيخ الجليل حفظك الله وعصمك من الخطل على هذا البيت :

فخف من خف منـا للـوغى طـربـا مستسهـلا حتفـه مستصغر الرامي

بعد ان استعرضت قولي فيه وهو :

«وهل يعني باستصغار الرامي الا تحقيره وهو انما يريد ان يقول انه لا يأبه به ولا يحسب له حسابا ٠

ان استصغار الرامي واحتقاره لا يثبت قوة المرمى ولا شجاعته الى آخـره ، ثم انك لا تأت في تعليقك بشيء ولم تعقب بكلمة ـ بل تخلصت وتزحلقت الى قولي هل ان هذا القصيد قصيد معركة ام هو قصيد جمع تبرعات ٠ وهنا يتبين انك لم تجد شيئا تقوله فقد اعجزتك الحيلـة ، وخفي عليك العـذر ، فسلكت مسلك التضليل ٠ والتشويه ٠

ويقول الشيخ احمد خير الدين :

«ومما يسلك فى هذا السمط مؤاخذة أخرى لا تقل عن سابقتها **فقد اورد** للشاعر خزنه دار قوله» :

دب الشعور فاحيا كل عاطفه

واوجدنا من بعد اعدام

فمن هذا الذى تعنيه بقولك **فقد اورد** ، ان كنت تعنينى انا فهذا غلط محض ، لانه لم يدر بخلدى يوما ان اتحدث عن شعر خزنه دار . فالذى اورد البيت على ما هو عليه هو الاستاذ محمد الهادى العامرى . وانك يا شيخنا هنا أظهرت انك تجهل اطوار القضية ، وانك لم تعرف من هذه المعركة الطويلة النفسى الا بالقدر الذى كتبته أنا .

وانى أربأ بك من ان تتخبط خبط عشواء،وان تنسب الاخطاء الى غير أهلها. فتكون حجتك عليك ، وقد اردتها ان تكون لك ولو لم تكن معلمى وانا اكن لك من الاحترام القدر الذى تعرف ، لقلت لك انك اصبحت تهرف بما لا تعرف . ولنصحتك بالرجوع الى كل النصوص التى قيلت فى هذا الغرض . حتى تعلم ان محمد الهادى العامرى لم يشر الى ان شعر خزنه دار هذا كان لجمع التبرعات :

ان الشجاع سخى الكف يشبهه

هما الشقيقان مقدام لمقدام

وهذا ما جعلنى اتساءل ؟ واقول : القصيد قصيد معركة ؟ ام هو قصيد جمع تبرعات ؟

على انى لا اتريث فى ان اقول ان هذا القول من اضعف الكلام،رغم المناسبة التى قيل فيها .

وتحدث الشيخ خير الدين عن المعاطن ، وقارنها بكلمة قلتها أنا فى قصيدى « سلام » الذى نشرته مجلة الاذاعة . وخرج المعنى تخريجا بعيدا .

حيث يقول خزنه دار :

اولئك القوم صرعى فى معاطنهم

ويقول احمد خير الدين :

ماذا فى استعمال كلمة المعاطن من ضير اذا علمنا ان الوحشية الفاشيستية لم ينج من شرها ساكن قصر ولا ربة كوخ وخاصة سكان البوادى الالى يقيمون بجوار بيوتهم معاطن الابل .

ونـرى هنـا الشيـخ خيـر الـدين يبحـث عـن المخـرج • فايـن ساكن القصر الذى لم ينج من الفاشيستية من المعاطن ؟ ، ويجعل الى جـانب ساكن القصر ربة الكوخ • لماذا ربـة هكذا بتـاء التانيث لا رب الكـوخ حتى يجانس قولك ساكن القصر • ثم يتـدرج من تعليل سخيف الى تعليل اكثـر سخفا وهنا يتجلى ان الشيخ يركب فى بحثه عاطفة جائرة اذ يقـول : «سكـان البوادى الالى يقيمون بجوار بيوتهم معاطن الابل التى هى ثروتهم الوحيدة منها يأكلون وعليها يرحلون فنحن نتحدث عن المعاطن ام عن الابل ، وما هو دخل الابل فى قول خزنه دار :

اولئـك القـوم صـرعى فى معـاطنهم

ثم اين سكان القصر فى هذا البيت ، فان كلمـة معـاطن لم تشملهـم لقـد شوهت وجه النقد بهذه التعليلات الواهية الضعيفة • ثم نرى الشيخ يسكت عن هذا البيت :

حيـاة المـذلـة اردى حيـاة

وعن قول خزنه دار :

الا بـالـتـعـاضـد فـلـنـبـتـد فمـدوا يـديكـم فهـذى يـدى
فهـذا بجـاه وهـذا بمـال وهـذا بعلـم لكـى نهتـدى
وكونـوا رجـالا يصـان حمـاهم

يسكت عن كل هذا لانه يبدو ان بحثه عن التعاضد بالجاه أعيـاه • وعند هذا العجز يقف الشيخ خير الدين •

فهـل للمحنـة من عضـد

قائلا : «ولست ادرى من اين جاء بهاته المحنة» • فمن يخاطب منا الشيخ ، أيخاطبنى أنا ام هو يخاطب العامرى •

وكان عليه ان يسأل العامرى من اين جاء بها • فهو الذى اوردها على هـذه الصورة اما أنا فيكفينى ان اقول للسيد العامرى ان هذا خطأ وحسب وهكذا يحاول الشيخ خير الدين ان يتسلل مرة اخرى ليأخذنى بجريرة العـامرى • فالذى قال محنة ايها الشيخ الوقور ، هو السيد العامرى قالهـا فى معـرض المفاخرة بشعر خزنه دار ، واقامة الحجة والبرهان على الدكتور السامرائى •

فدعك ايها الشيخ من هذه المغالطات ، فالحق ابلج • فاذا ناقشت العامرى • فليس معنى ذلك انى أنا نقلت الخطأ بل غيرته كما اتفق لى ، وناقل الكفر ليس كافـرا •

ثم يتهجم الشيخ على احسن ما قيل من شعر نـازك الملائكة • وعبد العزيز

قاسم فيقول وغرضه اتهام ذوقى «فوقع على العجيف السخيف بينما نعلم ان لهؤلاء الشعراء ما يعجب ويطرب ويسحر ويسكر» فهل هذا الذى قالته نازك الملائكة من العجيف ايها الشيخ :

وشفاه تموت ظمأى ولا تسأل اين الرحيق اين الكاس
ونفوس تحس اعمق احساس وتبدو كانها لا تحس

فانى لا ارى أحدا من الناس يشاطرك هذا الراى ٠

ثم هل تعرف قصيد عبد العزيز قاسم الذى اكتفيت انا بذكر طالعه ٠ حتى تقول انه عجيف ٠ انك ولا شك تخبط خبط عشواء فما احراك بان تضع اصبعك على مواطن الجمال فى الشعر بطريقة Braille

انا واثق من انك لا تعرف قصيد قاسم٠وانى أراك حكمت عليه بانه عجيف رغم ذلك ٠

ثم أليس فى قولك «بينما نعلم ان لهؤلاء ما يعجب» تراجع واستدرك يشير الى بلبلة احكامك ٠ فعلام تنكص هكذا على اعقابك ٠

ان ما يقوله قاسم فى هذا القصيد ونازك الملائكة يعدل : ديوان خزنه دار كله ٠ بل ودواوين كثير من الاصنام ومومياء الادب ٠

اتقيس شعر هؤلاء بشعر خزنه دار ؟ انها لاحدى الكبر٠ثم انك بعد ان تقرأ لقاسم ونازك الملائكة أراك تجد الدافع من نفسك لان تقرأ هذا الشعر :

دون اقتناء المجد كل كريهة

فاصبر لها تتحسن الاحوال ـ وسره التجوال

كان من حقك ان تستمر هذا الشعر حين تقيسه بشعر مصطفى خريف وأبى القاسم الشابى ولا احب ان تفوتنى هنا مقابلتك كلمة معاطن بكلمة مناخ ـ فالمناخ كلمة لها عدة معان فعلام قصرتها على المعاطن ٠

يقول لسان العرب والقاموس المحيط ٠ النوخة الاقامة فيكون مكان الاقامة بالضرورة مناخ وهذا ما ذكره صاحب المنجد اذ قال ـ المناخ محل الاقامة ٠ والمناخ حالة المكان من حيث اعتداله ٠

فهل يكون بعد هذا ثمة مأخذ فى قولى :

وربيع به الزهور حيارى
من مناخ ومن هواء وماء

فأى وجه اعتمدته ايها الشيخ ؟ بل اية قرينة جعلتك تذهب فى مقابلة اتقيس شعر هؤلاء بشعر خزنه دار ؟ انها لاحدى الكبر ثم انك بعد ان تقرأ

المنـاخ هنا بالمعاطن • ليس سوى الخلط ثم تؤاخذني بقولي حيـارى وتجعـل مفهوم الحيرة مقتصرا على هذا المعنى قائلا مع اننا نعلم ان الحيرة لا تدل على غير التردد والضلال عن الطريق • اذن فماذا يكون المعنى فى قول القـائل : حير الافكار بدرى هل يكون بمعنى ضللها • واذا جعلت الزهور فى حيرة ، فامـرؤ القيس جعـل الليـل يـرخى سـدوله ألـم تستبـد بـك حيـرة الشـاعر حين يؤخذ بالجمال • بل حيرة العقل امام هذه الكائنـات الجميلـة حين تبحث عن مبدعها • انك لم تأخذ من الحيرة الا بالقـدر الذى احببت شـأنك فى ذلك شأنك مع كلمة منـاخ •

ان هذا التهجم السافر ، وهذه السمفونية من التعريض والشتائم لا تصلح يا شيخنا ان تكون نقدا جوهريا فى موضوع أدبى •

واذا كنت لم اتعرض لادبك ذلك لانى لا احب الاسفاف والتحدث فى أمـور قد تخرج بى من دائرة الادب فالمساومة ايها الشيخ لا تجدى ، وقديما قيل :

غير مجـد فى ملتـى واعتقـادى

ثم انى اسائل نفسى هل قرأ احمد خير الـدين ما كنت قلتـه للدكتـور السامرائى فى المقال الذى تعرض له لقد كنت قلت له ايها الشيـخ بالحـرف الـواحد «فحـديثه امـا ان يكـون سطحيـا وهـراء لا تحقيق فيه ولا منهجية علمية واما ان يكون اقليمية شرقية اراد ان ينتصر لها الدكتور السـامرائى» ولكن ما كان اغنانا عن مثل هذه النعرة التى اصبحت عملا بدون طائل •

ثم ألم يقرأ الشيخ الوقور «فما بـال دكتورنـا السامـرائى يكتب ما يكتب بمجلة الاديب العراقى ، ثم يكتب ما يكتب بمجلة الفكر وهو فى الاولى يريد ان يثبت فضل اهل المشرق على اهل المغرب وفى الثانية يحب ان يتخلص مما وقع فيه من مركب الاقليمية ، ولكنه على كل حال ورغـم كل الالتـواءات لم يجـد السبل التى تخلصه • أبعد هذا الكلام يا شيخنا الوقـور اعنى الشيـخ خير الدين «تسول لك نفسك ان تقول فى عدد ماى من مجلة الفكر» وهنا نراه يخر راكعا امام صنمه ضارعا مبايعا فى قولى «فانت ترى يا دكتورنا اننـا معك فى نفى الشاعرية عن هذا الامير» ولا يخفى ما فى هذه الامعية المقيتـة من الملـق المخجل والاستكانة المشينة •

قال هذا احمد خير الدين لتشويه الحقائق ، فالنـون فى يا دكتورنا لا اراها تكفى لالصـاق كل هذه التهم بى من استخذاء واستكانة الا ان تكون آل فرعون فى القرآن قيلت للتعظيم او الا ان تكون النون فى يا شيخنا فى هذا المقـال بالذات تفيد ما حمله الشيخ قولى يا دكتورنا •

انك واهم ايها الشيخ فالاستخذاء والاستكانة ليستا من شيم التـونسيين ، وانت تعرف انى لم استكن لاحد ، ولن استكين ابدا وان كلمـة يا دكتورنا لا

تصلح وحدها لان تودى كل هذه المعانى المرذولة ، اذا قستها بالمقدمة التى افتتحت بها حديثى فى الرد على الدكتور واعود لك ايها الشيخ الوقور، لاعرف رأيك فى قول خزنه دار :

قامت وفى الطرف منها دمعة سقطت
تسقى المورد اشفاقا على الغصن
مالت لايقاظ من نادته يا أبتى
وفى المناداة ما ينبى عن الحزن
فاستيقظ الولد المنكود طالعه
لرقة الصوت مذ هفت على الاذن
أزال عن رأسه اطمار غاشية
وقام يعثر فى المسحوب كالشطن

فاى شعر هذا - انه اجترار ، وصور مفككة مهلهلة ، بعيدة كل البعد عن ان تكون فنا وشعرا ، نعم انها اجترار للامية حافظ ابراهيم ·
وهل تحسب شيئاً اذا قارنتها بامرأة حافظ ابراهيم :

شبحا ارى ام ذاك طيف خيال

ان الشيخ هنا لم يقل كلمة واحدة ، بل مر على هذه الترهات مر الكرام· اما أنا فأقول للشيخ ليس النقد شتما وسبابا بل هو عمل بناء ·

يا من رأيت الليث ينزل انه ليث ومن فرط الطوى يتوثب
ان الخيول اذا تركت ركبها يوما قعدت وجاءها من يركب

عبد المجيد بنجلو

اصلاح

فى قصيد : الارض والمثقف والفلاح لعبد المجيد بنجلو

فاشتراكية الاراضى نماء
وغد باسم الصباح سنيا

الصواب

فاشتراكية الاراضى نماء
وغد باسم الملامح حيا

حـول الامسية الشعـرية
بنادي ابو القاسم الشابي بالوردية

بقلم : عبد الله ابو بكر

للامسيـات الشعريـة بتونس فـائدة كبرى لخدمـة الادب بصفـة عـامة والشعر بصفـة خـاصة إذ فيهـا يلتقي عدد من شعرائنـا ليقدمـوا لنـا الواحـا مصورة ممـا جادت وتجود بـه قـرائحهـم. وفيهـا يلتقـي المعجبون بشعرائهم ويشـاهدونهم لحمـا ودمـا وبذلك تتقوى الروابط بين الشـاعر والمولعين بـه. وهذه الامسيـات جاء بهـا الى تونس الشـاعـر نور الديـن صمـود الذي عـاشهـا في لبنـان الشقيـق عندمـا كان يدرس باحدى جامعـاتـه. وتكـررت هـذه الظـاهـرة الجميلـة وأقبـل عليهـا الجمهور بتعطش وشغف وخاصـة الشبـاب منـه. وآخـر امسيـة شعريـة هي التي انتظمت بنـادي ابوالقاسم الشابي بالوردية والتي صاحبتها انغام الموسيقى العذبة وهكذا عشنا بين نغم الاوتـار ونغـم الشعراء الذين قدمـوا لنـا بـاقة طريفـة اختلفت في المظهر والاتجـاه وتنوعت في العذوبة والسحر. وتفاوتت في الخلق والابداع. عشنـا لحظـات ننتقل فيها من جو الى آخر على بساط سحري نسجه كل شـاعر ترنم بألحانه وارسل انشـاده بين الحاضرين.

واتضح لي من هـذه الامسيـة أن الشعر التونسي بدأ يتجاوز التغني بالحبيب والتشكي من جفوته والحنين الى لقيـاه الى مواضيع تصور واقع شعبنـا وتبرز مشـاكلـه الاجتمـاعيـة في أسلوب سهل جذاب يصل الى الاعماق ويترك أثره الطيب في النفوس. وهذا ما لمسته في قصيد عبد المجيد ابن جدو الذي حدثنـا فيه عن الارض والفلاح، فلاح اليوم العائش بكده وعزمـه يصارع أشبـاح الفقر. الفلاح الشاعر بدوره اليقـظ الحـي المتفـاعل مع واقعـه والساعي الى الانتاج وايجـاد الخير. هو يعلم أنه السيد على ارضه يعمل لاسعـاد نفسه ومجتمعـه لايستثمر مجهوده الطغاة الغاصبون الذين كانوا بالامس يأكلون من عرق جبينه ويتمتعون بكـل أنواع الخيرات

عرض عبد المجيد بن جدو هذه الصورة الحية التي تتجـاوب مع شعبـي

الكادح الثائر على التخلف والساعي للوصول الى فرحة الحياة في ظل اشتراكية خططتها أدمغة تونسية تعيش بروحها مع واقع بلادها وشعبها. قلت عرض صورته على لسان حضري يعيش في رفاهية لا يتصور معها سكنى الاكواخ والمبيت على الحصير ولا يدرك معنى البؤس والمبيت على الطوى ويسخر من ساكني الاكواخ والكادحين ويتباهى بما اعطته الايام ناسيا أن الزمن تبدل. ولم ينتبه الا على صوت ازعج احلامه وأقض مضجعه صوت ينادي بأن الارض اصبحت للكادحين العاملين صارخا في وجهه افق من سباتك فكل شيء تبدل وعهد الظلم والقهر ولى وأدبر والانسان الضعيف الفقير نفض عنه غبار اليأس والاستسلام والرضى بالدون ونهض ليطالب بحقه في الحياة الكريمة حياة انسان القرن العشرين هو في حقله وفوق أرضه كائن حي يتحرك وينتج ويغنم ثمرة أعماله. ان الفلاح الذى داسته بالامس اقدام الطغاة وافتكت أرضه الايدى الاثيمة. ارضه الكريمة المخصابة تحوطه اليوم رعاية وتحدوه عزيمة ثابتة لا تتزحزح يسير مع الايام ويتطور مع الاحداث مدركا أن شمس الحرية غمرت الكون كله.

اما نور الدين صمود الشاعر الذى امتاز شعره بالرقة والعذوبة المتمثلة في الزهور والفل والياسمين والفراش فهو يعبد طريقنا بالامل ويزرعه بالورود والرياحين لنسير وسط عبير شذي تحوط بنا الفراشات من كل النواحي.

— ولعل هذه الروح التي نلمسها في شعر صمود مرجعها الى المناخ الذي ولد فيه. :

زرعت على عتبات الشباب ... حقولا من الفل والياسمين
ورويتها بالاماني العذاب ... وسيجتها بالمنى والحنين

شاعرنا يعيش في فرحة دائمة يحدوه أمل عذب.

ورحت أناجي الفراش الشرود ... وأسكب في أذنيه النغم
وعلمته كيف يغري الورود ... لتمنحه ثغرها المبتسم

وصمود يبغض الظلام ويعيش دنيا أحلامه باسما يشع من نوره على الظلام فيحوله الى شمس مشرقة تضيء الكون وتدفئه.

وألبسني الدهر ثوب فخار ... جررت على النجم اردانه
وغام الضياء بعين النهار ... فكحلت بالنور أجفانه

سأبني على البدر بيتا جميـــــل   اسيجـه بـالضيا والـــزهــــر
وامــزج بـالصبـح ظـل الاصيل   فيـرقص في الارجـوان الشجـر

ومن هـذا الضيـاء والنور السـاطع ينتقـل بنا الشـاعر مزهـود الى عالم آخـر مملـوء بالاشـواك عالم كله شؤم ودمـوع تلمس فيه المسحة التشاؤميـة لشـاعرنا ونظرته المعقدة للحيـاة فهـو لا يعـرف الابتسام ولا يشعر بالحنيـن ينكـر الامـل ولا يحب الا العواصف والرعـود لاينظـر الى الازهـار ولا يروم شم عطرهـا المنسـاب. فشاعرنـا مزهود رغم متانة تراكيبه اللغويـة وقوة بنـائـه الفني لشعره – كاد أن يحول الامسية الى مأتـم لا تسمع فيـه الا الزفـرات ولا ترى الا وجوهـا عابسـة تشكو السأم والملل من الحيـاة. وهذا مـا لمسته في كل الحاضرين الذين نادوا بفرق الموسيقى اثـر انتهـاء الشـاعـر من الانشـاد.

وبعد هذا نلمس في قصيد جعفر مـاجد روحـا جديدة تتمثل في "الشعر القصصي" الذي يحمـل السـامع الى أجواء بعيـدة صورها الشـاعر وأحكم نسجهـا في كلام منظـم متنـاسق...

وفعلا حلقت مع جناح ماجد عبر الشفق وشاهدت ما شاهده وتصورت مصـاعب الرحلـة وأخطارهـا وأدركت الجو المقتم والظلمـات الحالـكة التي اعترضتنـا في طريقنـا ونحن عازمون على مواصلـة السير كلفنـا ذلك ما كلفنـا..

وغـردت الاغصان لما تـرشفـت   من الشفق المخضـل والجدول العذب
فقلت كذا أمشي وللشرق نـاظـرى   فلســت بسبـاح على لجـة الغـرب
لقد سدت الغربان بالصمـت سمعهـا   وسرت بلا علـم الى سـاحة الحرب
وحلقت في الظلماء مـن غير ريشـة   فزلت بي الاريـاح في المهمه الصعب

نلمس من هذه الابيـات خطورة الرحلة ومصاعبها واصرار الشاعر على مواصلـة المسير لبلوغ الغايـة والوصول الى الهدف مهما كانت التكاليف وهي عزيمـة الشباب المندفع الذي يهزأ بالمصاعب. فهذا القصيد الذي صور لنـا صراع الانسـان مع الاحداث وثبوته امامهـا سلاحه ايمـانه بنفسه وعزيمته هدفه الذي رسمه . شأن كل انسـان حي لا يخشى الاتعاب ولا يبالي بالتضحيـات مقابـل تحقيق طموحه ونيل مبتغـاه – هو في الحقيقة أقرب الى نفوسنـا من شعر الحب والشكوى والبكاء والتوسلات المبينـة عن ضعف في العزيمـة وجعفر ان خاب في رحلته – عبر الشفق – وكسر جناحه من قوة العواصف

والاهوال فهو سيعود مرة ثانية وان بقي وحيدا لا يصاحبه أحد فهو مستميت ثابت ولو بعد الهزيمة.

فوليت والاشباح تلهب خطوتي اضرج سمع الليل من صيحة الذئب
واسلمت شعري للرياح أعنة وكفى على جرح يئن به جنبي
اذا سال نور الشمس في الافق عندما سأغمس ريشاتي وان ضلني سربي

انه مؤمن بأن نور الشمس سيتغلب على الظلام الحالك ومصمم على العودة الى المحاولة حتى ينتهي الى الغاية التي يرومها ويسعى اليها.

اما الميداني بن صالح فنحا نحوا آخر وأعطانا صورة رائعة — لخفافيش الظلام — وكشف النقاب عن مشكل اخلاقي نشاهد أثاره كل يوم في جمع من الشبان فقد كل مظاهر الرجولة وتجرد من الضمير. يعيش عالة على مجتمعنا لا يجلب له الا العار والاحتقار... صورهم الميداني بأسلوب نقدي لاذع يضحك السامع لاول وهلة ولكنه يدفعه فيما بعد الى الامعان والتفكير العميق في محاربة هاته الآفة الفتاكة بالقيم الاخلاقية. يتحدث الميداني عن رهط من الشباب لئيم يعيش كالخفافيش في الظلام ويقتات من موارد مخزية لاتشرف مجتمعا ثائرا.

هو في زيه بدع عجيب
هو في شكله الوان تريب
اتراه مبدع ازياء عارض ؟
أم ترى قرد معارض ؟
ام هو السرك أتانا...
فحيانا
اذ رآنا
بدعة مسخا سخيفا
ظنه شيئا طريفا

حقا لا ندري أهو من النساء ام من الرجال شعره ومشيته وكلامه تدل على فتاة تتباهى بأنوثتها وجمالها لتغري الرجال وتلفت اليها الانظار. هو يدعى انه من صنف الرجال.

عجبا زير نساء وخطر.
هكذا ظن الاشر
لست تدريه أأنثى أم ذكر ؟
أم ترى لون جديد للبشر ؟

وهذا النفس الجديد الذي لمسته في شعرائنا جعلني أبارك هذه الخطوات نحو اكتمال الادب التونسي والشعر . وهو أمر يدل على أن شعراءنا يعيشون واقع البلاد واعين مشاكلها ساعين لحلها متحملين قسطهم الكامل كنخبة مثقفة في طليعة الركب الزاحف نحو الرفاهية.

عبد الله أبو بكر

* كتب وردت الى المجلة *

- **السائح والترجمان** (مسرحية) — تأليف : **توفيق يوسف عواد** — دار المكشوف ـ لبنان 1964
- **جزيرة الحبيب** (ساحة فى ايطاليا) — » **محمود تيمور** — مكتبة الآداب ـ ج٠ع٠م٠ 1963
- **انتصار الحياة** (مجموعة قصص) — » **محمود تيمور** — دار المعارف ج٠ع٠م٠ 1963
- **أدب محمود تيمور للحقيقة والتاريخ** (دراسة) — بقلم : **محمود بن الشريف** — مطبعة الكيلانى ج٠ع٠م٠
- **أعياد** (مجموعة قصص) — » **عبد الله نيازى** — دار الآدب ـ بيروت 1963

مطالعات

السائح والترجمان

بقلم : توفيق يوسف عواد

طبع دار المكشوف ـ بيروت ـ 1964

اهدانا الاديب اللبنانى الكبير توفيق يوسف عواد نسخة من آخر مؤلفاته « **السائح والترجمان** » **وهى مسرحية من نوع طريف تذكرنا « بالسد » تجرى** حوداثها ـ ان صح التعبير ـ فى بعلبك واشخاصها ؛ السائح والترجمان والنحات و.. **صوت الزمان ورجل المريخ. ورأينا ـ تعريفا بها فى تونس وتقديرا للكاتب ـ ان ننشر** الرسالة التى بعث بها المؤلف الاستاذ ميخائيل نعيمة **وهى مؤرخة فى 6 نيسان** 1964 .

مع شكرنا للكاتب **وعبارات اعجابنا** .

« الفكر »

اخى توفيق :

عدت ـ وانت ، ال «عواد» ـ الى توفيق الذى عرفناه فأحببناه فى «الصبى الاعرج» و «الرغيف» و «قميص الصوف» . وكانت الفترة التى انقضت ما بين هجرتك وعودتك طويلة الى حد ان كدنا نيأس من عودتك . وكيف عدت ؟

عدت وكأنك لم تبرح الحلبة ابدا . فها هو مولودك الجديد ـ «السائح والترجمان» ـ بين يدى . وهو يشهد بأن الحرارة فى قلمك هى هى . والنقمة على البطىء والفاسد والتافه فى حياتنا هى هى . واللجاجة فى طلب الاسرع والاصلح والاثمن هى هى . وما الفارق الا فى انك نقلت همك بالانسان من المسرح اللبنانى الى المسرح العالمى حيث تحاول ان تجعله يعطى حسابا من نفسه يبرر به وجوده كانسان .

شئت لمولودك الجديد ان يكون حوارا . فاذا كان تمثيلية فانها لتعتمد الكلمة والصورة اكثر من اعتمادها الحادث والحركة . وفى ذلك ما قد يقلل من قيمتها كتمثيلية . ولكنك عوضت عن ذلك النقص الى حد بعيد باختيارك «الجو» الذى يجرى فيه الحوار . ثم ينقلك السائح من حالة بشرية سوية الى حالة تتجاوز حدود الوعى السوى . وذلك بتنشيقه نوعا من المخدرات . وهكذا

استطعت ان تخلق «النحات» و «صوت الزمان» و «رجل المريخ» وان تجرى بينهم وبين «السائح» حوارا تحمله ما شئت من الاحاسيس والافكار ·

فى خرائب بعلبك وحدها ما يزود خيال الناظر اليها باجنحة تمضى به بعيدا جدا فى متاهات الزمان والمكان · فكيف بذلك الخيال اذا اسعفته بنشقة من الكوكاييين او الهيروويين ؟ ثم كيف به اذا رحت تبدل فى اوضاعه النفسانية بتبديل اوضاعه المادية ؟ وذلك ما تمكنت منه فى الحوار بين السائح والنحات ، والسائح وصوت الزمان · والسائح ورجل المريخ ·

كانى بك ما خلقت النحات الا لتمثل به الانسان فى تفتيشه المحموم عن الاله الذى يستطيع ان يجد نفسه فيه فيطمئن اليه · فهو لا ينفك يخلق الآلهة ثم يحطمها لانه لم يهتد بعد الى نفسه فى أى منها · ان فى اعمق اعماقه ما هو اكبر بكثير ، وابعد بكثير من كل ما توصل اليه حتى اليوم بيده وفكره · انه لم يبلغ بعد «نقطة الدائرة» ـ ذلك المحور العجيب الذى عليه يدور الزمان والمكان بكل ما فيهما من متناقضات · اما هو فثابت لا يدور لانه خارج الزمان والمكان وفوق الخير والشر وجميع المتناقضات ·

ثم كأنى بك ما خلقت رجل المريخ الا لتجعل منه هدايا للسائح الى نقطة الدائرة · والسائح عندك يمثل كل انسان · اما رجل المريخ فيمثل الانسان المنفتح على الآله السرمدى فى نفسه · وهذا الانسان يبنى من نفسه هيكلا بديعا يتناسب وعظمة الآله فى نفسه :

« فى وحدة للوجود
لا تعرف السدود
ولا الحدود
موصولة الاجيال
مشدودة الآمال
مربوطة الآجال
بالخلود
ونعبد فيه الآله الجديد
منه انفطرنا
ومنا انفطر
عنه انشطرنا
وعنا انشطر »

فى «السائح والترجمان» مقاطع لا يمل القارىء ترديدها لما انطوت عليه من جمال السبك وحدة الفكر والعاطفة • ولعل ابرزها ما جاء على لسان «صـوت الزمـان» فى وصف تماثيل بعلبك المهشمة (ص 49) ووصف «مخـدع الحب» (ص 60) ووصف العمال المسخرين الذين لولاهم لما قام حجـر فـوق حجـر فى هياكل بعلبك (ص 74) • ثم فى وصف الآلهة التى عبدها الانسان فلم ينله من عبادتها الا العبودية (ص 113) • وفى وصف الهيكل الجـديد الـذى سيبنيـه الانسان المنعتق من ازدواجيته وما تخلقه من اوجاع واوهام (ص 144) •

وفى الكتاب لفتات تباغت القارىء بالسرعة التى بها تنقله من جو الى جـو دون اقل تمهيد • مثلما فيها لفتات تضنيه بكثافة رمزيتها • الا انها لا تعوقه فى السير معك الى النهاية التى تنشدها •

ان «ضربة المعلم» فى «السائح والترجمان» هى ، من غير شك ، فى انتقائك خرائب بعلبك مسرحا له • ثم هى فى ذلك التشوق السحرى الذى قدمته الى السائح بعيد دخوله الخرائب فاستطعت ان تنقله الى واقع غير الذى يـواجه كل سائح عند دخوله «القلعة» وخروجه منها : بـاعة مزعجـون بجلبتهـم وبمـا يعرضون من تافه المتاع للتذكار • حتى اذا انتهى فعل التشوق عـدت بالسائح الى الـواقع البليـد عينـه الذى وجـد نفسه فيه فى بدء سيـاحته • وهـذان الواقعان ـ واقع الوعى وواقع ما وراء الوعى ـ يلتقيان عندك على صعيد واحد من الزمان والمكان • فكأنك تسأل القارىء : اى الواقعين يـا صـاحبى هـو الـواقـع ؟ وجوابك صريح لا شك فيه : انه الواقع الذى وراء ما درجنـا على اعتباره واقعا •

لست اريد ان يفوتنى التنويه بما فى الكتاب من جميـل «الاخـراج» وعلى الاخص فى نسخه الممتازة التى تكرمت على بواحدة منها • انها نسخة مسـرفة فى الانـاقـة •

دعنى ، فى النهاية ، اجدد تهانى لك «بسلامة العودة» راجيا ان يكون فيهـا خير كبير لك وللادب الذى يعتز بك واحدا من ابنائه الاوفياء •

المخلص

ميخائيل نعيمـة

من آثار مصطفى آغا

حفلـــــــــــة

(1)

ظهرت صاحبة العزة ، فى اجمل بزه ، فحجبت ما فوقها من الشهب ، ومزقت ما تحتها من السحب ، فخلت لها الاجواء وعمت بها الاضواء ، ولامست أشعتها الهياكل العصبية الفاترة ، فنشطت من عقالها نافرة ، فصفا جو الحالة الادبية ، بفضل أشعتها الذهبية ، فهان على النفس ما كان مهيلا ، وخف على الكاهل ما كان ثقيلا ، فبارك الله فى هذا الكوكب الملتهب ، وقاتل الله غياهب السحب ، فلكم اخفت من جلال ، وبرقعت من جمــال ، وكم حالت بيننا وبين منبع الحياة ، وحوقها بحوالك الظلمات .

أما الآن والحمد لله فقد انهــزمت جيوش الاوهــام ، وانتشرت اجنحــة السلام ، فقمت أتصفح البريد ، على أعثر على جديد ، فوجدت ورقة استدعاء ، مذيلة بالحاح من دعــاء ، يحث على الحضور ، لحفلــة انس وســرور ، فى ليلــة تنوعت مغانيها ، وتبرجت غوانيها ، وعبقت روائحهــا ، وتــرنمت صــوادحها فترددت فى الذهاب ، وقلت اتحمل مر العتاب ، ولكن هزنى شوقى الى المغانى، فدخلتها فى الهزيع الثانى ، عبرت صحن الدار، فالفيته يتلالا بالانوار، والناس فى صفوف ، يطاف عليهم بعتيق الكهوف ، وأمامهم مرتفع غنت عليه البلابل ، وحركت النفوس وأهاجت البلابل ، وترنحت فوقه الاماليد ، بأمر بنت العناقيد وتعرت المعاصم والجيود ، الا من الاساور والعقود ، ولقد اكسبتهن أشعة الانوار جمالا فائقا وهو مستعــار ، فتوجهت اليهن الاحداق ، وطــال فيهن الاحداق ، وخفقت لهن القلوب ، مع تنوع الاسلوب ، فمنهم من تمايل ، ولج يتساءل ، ومنهم من كنى ولوح ، ومنهم من سمى وصرح، ومنهم من أقر وباح، ومنهم من تأوه وصاح، ومنهم من تألم وشكا، ومنهم من أجهش بالبكاء ، ولكن الرحمة لم تقع ، من سيدات المرتفع ، بل زدن عزة وطغيانا ، وأبدين فى الصــد ألوانا ، متصنعات عدم الاكتراث ، بالشباب والجمال والتراث ، فــزاد اتساع الحرق ، وآذنت سفنتهم بالغرق ، لولا أن خفت صوت الاوتار ، وانشدت ذات السوار ، ولعمرى ما فرغت حتى امتلا الفؤاد ، وتحرك الجمــاد ، ثم سجى ذاك الخضم الانسانى ، فلا تسمع الا رنات القنانى ، وقرقرة السلافة ، على بعد مسافة ،

وتعديل الاوتار ، وهمس من داخل الاستار ، فقلت طاب المقام ، وحبذا لو صحت الاحلام ، فلم اشعر الا والقوم تعج عجا ، والارض ترج رجا ، فقلت هذا ما كنت اخشاه ، وأحاذره وأتوقاه ، فقد تخاصمت الاقوام ، وتحققت الاوهام ، ومدت الايدى الى الزاد ، بل الى الاجساد ، وأكفهر وجه السماء وسيمطرنا دماء ولكن ما اسرع هجومى ، وما اجهلنى بلغة قومى ، فلا خصام ولا شجار ، ولا أهوال ولا أخطار ، ولا نفخ فى الصور ، ولا نقر فى الناقور ، ولا كانت القارعة ، بل وقفت الراقصة البارعة ، وتدرجت على المرتفع ، وما وقع كان حسن تخلص لما سيقع ، أعنى الرقص البديع ، ومطابقة الحركات للترجيع ، تثنت فأززت بالعذبات ، وشدت فاخجلت المطرقات ، جرى كل هذا وانا أجيل البصر ، مفتشا على مقرّ ، بعيد عن الزحام ، قريب من مصدر الانغام ، فأنتج البحث والاستيعاب ، وجود مقعد قرب أحد الابواب ، اسدل عليه ستار شفاف ، بأنت من ورائه ملامح واعطاف ، وسمعت من ورائه النغم الرخيمة ، ولمحت من ثقبه أشعة الاحجار الكريمة ، وهبت على ضحكات ، لها فى المسامع رنات ، هذا مع الجهل والشك ، فى حالة من ضحك ، ولربما كنت على ضلال ، وهكذا الحياة خيال ، اهتديت الى مقعدى الفريد ، على غير ما اريد ، مستهجن المقام ، ولكن للضرورة أحكام ، فكنت اسمع ما يجرى خلف الستار ، وانا مجبور فى قالب مختار ، وبان لى فى اختلاف لهجتين ، أن الستارة محتلة بفتاتين احداهما تجاوزت الحلقة الثانية ، والاخرى منها دانية ، يتحاوران بحماسة ، بعيدتين عن الكياسة ، قد هاجهما وجود ذلك المعشر ، فى متسع ذاك الحشر ، قالت من أظنها الصغرى ، تخاطب الكبرى ، الم تنظرى ذلك الجميل الوجه والكساء المفرط فى الدعابة والاحتساء ، الفاقد البصيرة ، المتدله بالراقصة الاخيرة ، يكاد ان يلتهمها بعينيه ، أو يمسكها بكلتا يديه ، وقد أضاع فى هذا العمل حينا ، وملا ما بين رجليها رياحينا ، وهى لا تزال فى اطراقها ، لا تتنازل الى استنشاقها ، فاما أن تكون عديمة الذوق ، أو متظاهرة بما فوق الطوق ، ولعمرى انها لبراعة ، تعجز عن وصفها اليراعة ، عزيمة قادرة ، وبطولة نادرة ، قسما لو حللت محلها ، لوجدت للمسألة حلها ، أى التقط بعض تلك الزهور ، واستنشقها بلذة وسرور ، ثم أضعها بين الثديين ، واشكره بلمحة عين ، ولكن هذا الستر الحصين ، نتيجة سخافة القمين ، هو الذى حال بينى وبين مشروعى ، وجعلنى اتجرع مرارة شوقى وولوعى ، فيا من نصبت هذه الستارة ، لتتقى النظر وأخطاره لقد فزت بهذا النمط ، ولكن الليلة فقط ، فانى ملاقية ذلك الحبيب ، وان غدا لناظره قريب ، أراك تحرم

الرؤية على العاجز ، وتبيحها للبطل البارز ، وتحجب عن العيـان صـاحب الامر والسلطان ، من اذا أراد ، بلغ الغاية ونال المراد ، ونال مـا اشتهى ، ولـو تعلقت بالسهى ، فعـلى رسلك يـا مسـدل الحجـاب ، ويـا عبـرة ذوى الالباب ، هلا حجبت الرجال ، واطلقت ذوات الحجال ، حتى يراها ولا تـراه ، ويراسلها فيخيب مسعاه ، فكم منهم من غره الطمع ، ودفعه الجشع ، فسيم الوان العذاب ، واقتنع من الغنيمة بالاياب ، وبعد هـذا فهل سمعتم بمن راودته فتاة ، فصب عليها جام اللعنات ، وأبـرق وأرعـد ، وأنـذر وتوعد ، واندفع بين الجمهور ، ينادى بالويل والثبور ، ان هـذا لهو عين الضـلال ، وبارك الله فيمن قال :

حاجب العـذراء تحت الستر هل أنت تخشى أن يـراهـا ذكـر
مـا عليهـا لـو رآهـا خطـر بـل عليهـا لـو رأتـه الخطر

الكبرى : مالى أراك يـا حبابـة ، قد اندفعت فيما تعودت اجتنابه ، ولم أشاهدك ثرثارة ، الا تحت هذه الستارة ، ولعمرى قد قلت نكرا ، حتى تخيلت انك سكرى ، اعراك الجنون ، فأبرزت المكنون ، وبحت بمـا لا يبـاح ، ولـو تعاقبت الاقداح ، فكأنما لعبت بك عقار ، لم تقف عند موضع الاسرار ، تالله لقـد صبرت عليك كـثيرا ، فلم أجـد لما قلت تأويلا وتفسيرا ، ولقـد نفـد صبرى واحترت والرحمان لا شك فى أمرى .

الصغرى : لا كاس ولا دن ، ولا مس من الجن ، ولا ثرثرة ولا هذيـان ، ولا حمة ولا بحران ، بل ان تلك المغازلة وذاك التجنى ، أيقظا مـا كان ناعسا منى ، واضرم خامدا ، وحرك جامدا ، لا أنكر أن تخيل هذه الحالـة كـان واقعا لا محالـة ، ولكن ينقصه التحقيق ، والحس والتطبيق ، أمـا الليلة فقد أبـدر القمر ، وتجسم الخطر ، فلقد رأيت من صنوف الاستهواء ما أيقظ ناعس الهوى، فتغيرت الاحوال ، لما تجسم الخيال ، وهذا هو القول الفصل ، بل هـو صورة طابقت الاصل ، فهل من مفر كلا لا وزر ، وهل من دواء لهذا الداء العياء .

مصطفى آغـا

حديث بين أثنين

(2)

دفعتني يد الاقدار ، لاستماع حديث من وراء جدار ، قال :

الاول : وما قولك فى العلم والتعليم ، وعصمة الرأى من الفهم السقيم ، وصون اللسان ، عن الخطأ والهذيان ، ولزوم دراسة العلوم العصرية ، واتباع النهضة القومية .

الثانى : ما يلزم من العلم فى نظرى هو بعض الاطلاع ، ومعرفة استياق اليراع ، حتى يهرول على ساق ، فى ميادين الاوراق ، ويجللها بالسواد ، ويمطرها عارضا من مداد ، فتنبت بعد الرى والانتعاش ، ما يضمن الراحة والمعاش ، وما على ان ارتفع زيدا وانتصب ، اذا كنت بلغت الارب ، وسواء عندى المقصور والممدود ، اذا بلغت بدونها المقصود .

الاول : ليس هذا بالجواب على سؤالى ، ولعلك لم تفهم مقالى ، انا سألتك عن الظفر والاخفاق ، ولا على الحرمان والارتزاق ، فاعلم ان العلم هو أن تجارى من جرى على المهاد ، وسابق الصافنات الجياد ، وطار يخترق الاجواء ، ويستطلع طلع السماء حتى تأتى لك ماء صاحية الحياة ، ويشرئب عنقك الى السماوات ، وأما الاقتصار على ما يسود الورق ، وينعش النفس بسد الرمق فليس هو كل المراد ، ولا نحن بصدد البحث فى الاقتصاد ، والآن دعنا من العلوم العملية ، فانى أراك تجهل منافعها المالية ، وضاق عن ضمها جرابك ، وقد دلنى على هذا جوابك ، فهل لك من ارب ، فى علم الادب ، وما قولك فى الشعر وتأثيره ، وتخيله وتصويره .

الثانى : الشعر أبحر معدودة ، وأوزان محكمة محدودة ، أساليب وتراتيب ، مدح ورثاء وتشبيب .

الاول : لا الشعر صوت ان نادت به الشعراء ، تردده رغم بعدها الاصداء ، فهو مكسب الصفات الجميلة ، وباذر حب الاستقامة والفضيلة ، ومخرج الحقيقة من معبدها ، وباعث النفس من مرقدها ، يجرى فى شرايين الجبان ، دم الابطال والشجعان ، فهو الفوائد الحقيقية ، والاحاديث الوضعية ، عصرت ضروبه ضربا على تلك المراره ، وألانت ليانتها قلوب تلك الحجارة ، ولعمرك لم تقتصر هذه على التغنى ، وشكوى الصبابة والتجنى ، ومدح كريم لاستدراره ، وذم لئيم لاستقذاره ، بل غرست بذور الشهامة والنبالة ، وقيدت طرق السيادة والجلالة ، وقامت تترصد خطوات الشريف ، وتنتقد السيد الغطريف، والآن هل عندك افهام وتأويل ، فيما يتعلق بفن التمثيل.

الثاني : التمثيل نعم الاختراع ، فلقد أخرج للناس ما خط اليراع ، وصـور للنواظر ما امتلات به الاسماع وجعل للاسماء ذواتا ، ولاقوالهم نبرات وأصواتا ، وللمصابين أنينا ، وللضاحكين غنة ورنينا ، فتسلت بهذا النفوس ، وقام مقام المسموع المحسوس ، وأعانت على ذلك النغمات الشجية ، والرنات والموسيقية ، فاختفت اشبـاح الضجـر ، وطاب السهر والسمر ، وانتشت بذلك الارواح ، واعتاضت به عن الاقداح ، ولا سيما الصوت الظريف ، من حناجر الجنس اللطيف ، اذ لا تخلو قصة من غاده ، توشحها برقة واجاده ، ولا يخفى أيها الخبير ، ما لهذا من التـأثيـر ٠

الاول : أهذا كل ما عندك عن التمثيل ، وهذا الفن الجليل انك وايم الحق لم تأت لا بالتعريف والوصف ، والمجانة واللهو والقصف ، وطفقت تبين وتشرح ، متغـزلا فى فتـاة المسرح ، ومعـاذ الله أن يـكون هذا هو التمثيل ، الذى اعتنى به جيل بعد جيل ، وحاشا ان يكون هذا معناه وهكذا قصـده ومرماه ، بـل ما هو الا ذكرى للغابـرين ، وتـذكرة للحاضرين ودروس اخلاقية ، مسموعة مرئية ، تقص عليك أساطير الاولين ، متقمصين فى اشخاص الاخـرين ، حكايـة مدققـة لا ريب فيها ، مجسمة مبرزة لناظريها ، حتى لا يتطلبون المراد ، ولا يحتاجون الى زيادة ارشاد ، وكيف وقد أتـى بالغرض ، وأيقظت من فى قلبـه مرض ، ولم يعقه فى طريقه قلة الاطلاع ، ولا قصر النظر والباع ، بل تلقى فى مدارس المسارح المستقيمة ، فوائد قيمة قويمة ٠

الثاني : والفكاهة يا أبا الاطناب ، أليس لها هنا محل من الاعـراب ، وهل قضى على النفوس ، بالتقطيب والعبوس ، ولم يبق الا الجد ، ومشقة السعي والكد ، وهكذا الانسان يقضى الحياة حسيرا ، يؤوسا عبوسا قمطـريـــرا ٠

الاول : لا بل لا بد للنفس من فكاهة ، اذا لم تجد عن طريق النزاهة ، ألم تر أن علـم الادب مشحون بالفكاهـات ، ومـزدان بالنكات ، ولكنها مؤيدة للادب ، محافظة على كلام العرب ، فهل سمعت يا أبا الخلاعة ، أن هنـاك من غير ذلك الاسلـوب وأقل من اليـراعة ، وغرته تلـك الفكاهات ، وألقت به الى التهلكات ، فخلع العذار ، وقال هكذا أمرت فى الاسفـار لا والله ما رأينـا الا من تسلق عليها الى أعلى الدرجـات الادبية ، وتوغل بها فى مجاهل اللغة العربية ، فان فكاهتك من هذا القبيل ، فنعم القصد ونعم السبيل وان كانت لمجرد ايقاظ الخبـائث الخافية ، وطمس اللغة السامية ، فلا خيرفى هذه الفكاهة ، بل انها جريمة وسفاهة ، وسأعود الى هذا الموضوع ، ان تيسرت وسائـل الـــرجـوع ٠

مصطفى آغـا

اضواء الفكر

◆ محمـود تيمـور ينال جائزة الدولة التقديرية :

أعلن فى احتفـال «الجمهورية العربية المتحدة» بعيد العلم بأرض المعـرض بالجزيرة فى القـاهرة مسـاء يوم الاثنين 16 من ديسمبر سنة 1963 ـ نيـل «محمود تيمور» جائزة الدولة التقديرية و «الميـدالية» الـذهبية للأدب ، وقد ألقى كلمة فى الاحتفال ، جاء فيها بالخصوص :

...رسالة الأديب هى سبر أغوار النفس ، واستبطان الخفى من أسرارها ، يجوس خـلال مجاهلها ، ويحلق فى سماواتها ، ويتسرب فى أعماقها ، حتى يجلوها على حقيقتها ، مبصرا ايانا بما يعتمل فيهل من دوافع وجواذب ، وانه فى أدائه لرسالته ليزيل الغشاوة عن أعيننا ، فنحسن المعرفة بجوهر وجودنا ، ونزداد فهما لمن يعايشنا • ورأس الحكمة أن يعرف المـرء نفسه ، وأن يفهـم الناس من حوله •

الهدف الأصيل للأديب أن يكشف عن الانسان بمعناه الشامل ، فى خيره وشره ، فى سطوته وضعفه ، الانسان الذى حمل أمانة الحياة ، ليمـارس بها ملكاته فى دنياه • والأديب الحق ، بما وهب من رهافة الحس ، وبما جبل عليه من فطرة الخير، هو الذى يتخذ هذا الهدف، واعيا أو غير واع، سبيلا الى تطوير الانسان ، حتى يكون انسان عالم أفضل ، انسانا مثاليا فى مجتمـع مثـالى ، تسوده روح التعاون الصادق ، وتتحقق فيه المساواة الكاملة ، ويرفرف عليه الاخـاء والرخـاء •

◆ عيـد العـلـم :

نسشر الكلمة التى كتبها فى ج.ع.م. صديقنا الاستاذ محمود تيمور فى الكتاب التذكارى الذ[illegible] بمنـاسبة عيـد العلـم وقـد تفضـل بارسالها للفكـر •

اذا تفاضلت الأعياد بعمق آثارها فى المجتمع ، وتمايـزت بنيـل أهدافهـا للبشرية ، فليس من ريب فى أن «عيد العلم» أوفاها شرفا ، وأسماها هدفا •

انه العيد الذى تحتفل فيه الدولة بأجل ما تملك من ثروة ، وأنفس ما فيها من قوى وذخائر ، فى ادلال واعزاز وتكريم •

انه عيد العقل ، عيـد العبقرية والنبوغ ، عيـد المواهب والكفايات ، عيـد الجهاد المقدس لاكتساب المعرفة ، واكتشاف الكون ، وملاحقة ركب الحضـارة للسير معه الى أمـام •

انه العيد الذى يعلن ابتعاث الطاقات البشرية التى هى قبس من نور الله ، طاقات العقول والقرائح والأذهان ، واحتشادهـا فى شتى ميـادين المعـرفة الانسانية عامة ، حتى تكون منهـا قـوة دافعـة الى حيـاة أفضـل ، واعـدة بمستقبل أسعد •

لم يعد العلم ترفا ذهنيا ينعم به بعض قليلـون ، ولا أرستقراطية فكـرية يؤتاها من تعينه عليها أحوال وملابسات • ولم يعد كذلك نطاق العلم مقصورا على نواح نظرية تجريدية ، تسمو بأصحابها الى أبـراج علوية ، وتبعد بهم عن صميم الواقع الذى يعيشـون به ، وينغمسـون فيه ، فاذا هم فى معـزل عن مرافق العيش وأسواق الحياة •

لقد أصبح العلم فريضه عينية ، لانه بات ضرورة اجتماعية • فليس ثمـة ناحية من نواحى وجودنا الا تطرق اليها العلم ، وليس ثمـة جانب من جوانب دنيانا الا تناوله العلم بمجهره ، فاستبطن حقائقه ، وعرف ضوابطه ، وشق له أفقا يقوم على التجربة والتحليل والاستنتاج •

ونحن ، أبناء الأمة العربية التليدة ، سلائل شعوب يعرف لها العلم مكانها منه ، ويذكر مآثرها فيه ، فقد كانت حياتها ، والـزمن يومئـذ فى شبـابه ، سلسلة موصولة الحلقات من جهـود عقلية كبيرة ، خـرجت بهـا من غيابات الكهوف الى مدنية البناء والتعمير ، وبقيت آثارها رمزا لمجد الانسان ، وفخرا لحضارة التاريخ •

على أننا لبثنا حينا من الدهر نعانى التخلف والاضمحلال ، فكانت طاقاتنا العقلية وملكاتنا الذهنية تضيع هباء وتذهب سدى ، ولم تكن أقباسها تجدمن بواعث الترويح ما يتيح لها أن تتوهج • حتى تهيأت لها اليوم تلك الانتفاضة القوميه العارمة ، انتفاضة الحيوية التى استكنت زمنا فى نفوسنا تنشد التحرر والانطلاق ، فلا غرو أن تنبعث طاقات العقول وملكات الأذهان لتعمل وتتفوق ، ولا غرو أن تجد لها فى هذا العهد الثورى البناء كل أسباب التعهـد والعـون والتشجيـع •

تلك هى الدولة تؤمن بقيمة العلم ، وتعول عليه فى كل ما تتخذ من خطط للاصلاح والتجديد والتشييد ، فتوليه من العناية ما يكفل له النماء والازدهار ، ولا تضن عليه بما يحقق الغرض منه فى كل مرفق من مرافق الحيـاة ، اذ ترى فيه البذور الصالحة لاقامة المجتمع الديمقراطى الاشتراكى التعاونى الذى ينشد الحق والعدل ، ويبتغى الخير والسلام •

وعيد العلم الذى تقيمه الدولة كل عام ، هو استجابة صادقة لذلك الايمان القوى بقيمة العلم ، وآية بينة للاعتـزاز بالعـاملين فى ميـادينه ، وان روح الديمقراطية الاشتراكيه التعاونية لتتمثل فيه بأجلى ما فيها من المعـانى ، فالى هذا العيد تسعى سلطات الدولة على مستوى القمة ، لتحية كل من أبـلى بـلاء حسنا فى تحصيل العلـم والتبريز فيه ، وفى هـذا العهـد تمتد يد التقـدير والتشجيع المادى والمعنوى فى سخاوة وحفاوة الى المواهب والكفايات ، سـواء منها ما كان نضرا فى فتوة السن وبدء السعى ، وما كان منها ثمـرة الكفـاح المديد ، وغاية الطريق البعيد •

بارك الله لأمتنـا العربية فى ثورتها الرشيدة ، ونهضتها المجيـدة ، تلك النهضة التى تقيم من العلم سندا لها وطيدا ، وتتخذ من تكريم العـاملين فى ميدانه عيدا •

◆ طـه حسين••• وردود الفعـل :

أخبرنا فى عدد سابق أن طه حسين هاجم فى حديث الى التلفـزة الأدبـاء

الشبان واتهمهم بالسطحية ولا تزال آراؤه تثير ردود الفعل فى الصحافة المصرية ٠

من ذلك ما قاله **احسان عبد القدوس** دفاعا عن نفسه : «طه حسين غير قادر على الخروج من مرحلة العصر الذى نشأ فيه ولذلك لا يتقبل مقاييس النهضة الحالية٠٠٠ ان العالم لا ينتهى عند (الأستاذ) بل فى كثير من الاحيان يفوق التلاميذ (الأستاذ) وطه حسين بموقفه هذا يحرم نفسه من انتاج فنى ضخم متجدد٠٠٠ انه يغلق على نفسه الباب منذ أن توقف عن الانتاج ويريدنا أن نفعل مثله ، وهذا محال٠٠٠ محال ان نوقف التطور ، محال ان نطفىء الشمس ، اننا نحتاج الى الحرية والانطلاق ، لا الى الجمود وعدم التطور كما يريد طه حسين » ٠

وقال يوسف السباعى : انه لا يهمه اذا لم يقرأ طه حسين نتاجه فهو يعتز بقرائه من طلبة الجامعات والشبان٠٠٠الذين سيتخرج منهم نقاد المستقبل٠٠٠ اننى أفضل أن أكسب الشباب وأخسر طه حسين٠٠٠»

وجاء فى افتتاحية مجلة الرسالة **لعباس خضر** : أن طه حسين وان كان قد اكتسب الرقة الباريسية الا انها قشرة ظاهرة تتكشف كثيرا عما تحتها من عنف (ابن الصعيد) الذى قاوم وكافح بشدة ما اعترض نشأته وما لابس هذه النشأة من ظروف قاسية ، وقد شغف بالتحدى منذ الصغر ومنذ أن كان طالبا بالازهر اذ كان يذهب الى المسارح والملاهى ويكتب عنها فى **الصحف مبديا اعجابه** بالمغنيات والممثلات لكى يغيظ البيئة الازهرية **ويتحداها»**٠٠٠ ولا تزال المباراة متواصلة؟!٠٠٠

◆ **لقد أسمعت لو٠٠٠**

نشر صديقنا الشاعر الكبير مصطفى خريف بجريدة «العمل» **الفيحاء مقالا** عالج فيه بسخرية لطيفة ورقة وطيب نفس نفسية بعض المتأدبين الذين فصلوا أنفسهم عن واقع تونس الثقافى٠٠٠ نثبته **فى هذا الباب تقديرا له ومساهمة** فى «التوعية» وان كدنا نيأس من «تحميس» **هؤلاء الغرباء فى وطنهم فصرفنا** جهادنا الى الاجيال الصاعدة واعتمدنا على **المثقفين الذين يعيشون بيئتهم** وعصرهم :

حينما نناقش موقف الطبقة المثقفة عن واجبها نحو ثقافتها ونحو المفروض المتوقع منها تلقاء موقعها من نهضتنا الحاضرة وتحفزنا الى ادراك مطامحنا ، نجتهد فى أن يكون كلامنا خفيفا فى أسماعها ٠ وحبيبا لديها على ما فى بعضه من مرارة وجفاف ٠

لانها عدتنا وعمدتنا وهى حبل الوريد فى جسم الشعب يغذيه ويمده بعناصر الحياة والتحفز والوثوب ، ولان الشخصية تعظم ويرتفع مقامها وتتضخم اهميتها على قدر عظم مسؤولياتها فى توجيه التيار العام للشعب ، ولقد صدق الشاعر حين قال :

على قدر أهل العزم تأتى العزائم
وتأتى على قدر الكرام المكارم
وتعظم فى عين الصغير صغارها
وتصغر فى عين العظيم **العظائم**

والطوائف التي تنتسب الى الحركة الفكرية ، ويجب أن تضطلع فى المجتمع بزعامة الرأى ، تكاد تنحصر فى مناطق معروفة بحكم عملها الشخصى فيكون عددها محصورا ، ولا نتوسع في نظرتنا الى عموم الشعوب التى هى مثلنـا ، فلكل منها أحوال وأمزجة وظروف تخصها ، ولكن نطبق تلك النظرة على ما هو امامنا فى الشعب التونسى ٠

فلعل أكبر عدد يصح له أن ينتسب الى شرف الفكر ، والى مستوى قيـادة الرأى ، وان يتكون منه جمهور وراى عام ، هم أولا رجـال التعليم فى جميع مراحله ثم رجال العدالة والقانون ، اهل البيان والخطـابة والفهـم ، الـذين يتغلغلون فى أعمق اعماق الشعب ويباشرون مشاكله الاجتماعية ويدرسـون علاقات الافراد فى عمومها وخصوصها٠٠٠ ورجال الحكم والادارة كذلك ٠

وهذه الاصناف يتكون منها عدد لا بأس به ، فهم من مجـال الفكـر صنف واحد يعيش فى نطاق المعرفة والثقافة ويتجاوب فى مستوى عـالمى وسيـع ، وقـومى عميـق٠٠٠

لكن الاختبار والواقع يحتويان على معطيات اسيفة ، لا من ناحية من تلقوا ثقافتهم فى الخارج ، فى أروبا او المشرق ولا من ناحيه الذين تخرجـوا هنـا فى تـونس ٠

اليك بعض القصص :

1 ــ شرفتنى ــ اول أمس ــ نقابة التعليم الثانوى بدعوة لحضـور ملتقاها الذى نظمته بدار الشغالين ، وخرجت مبتهجا بهذا النشاط ، ثم لقيت صديقا مـدرسا فقلت :

ــ بارك الله فيكم٠٠ انه عمل مفيد٠٠ فى أى موضوع ستتحدث ؟

ــ متـى ؟

ــ بعد انتخاب اللجـان ، أو عند ابداء الملاحظات ٠

ــ أى لجـان وأية ملاحظات ؟

ــ الملتقـى ، ملتقاكـم٠٠٠

ــ لـم أسمـع بـه ٠

ــ ولكن ، ظننتك قد قرأت (العمل) أو غيرها اذا لم تدع ٠

وأخبرته بما لم يكن يعرف ٠

2 ــ ومنذ شهور لقينى متخرج من أروبا وسـألنى عن شخصية تـونسية ثقافية من الجيل الماضى اراد أن يؤلف فيها كتابا ، قلت له :

ــ لقد نشرت جريدة (الصباح) فى صفحتها الادبية فصـلا يحتـوى على مراجع مهمة فى الموضوع ٠

ــ هل فى (الصباح) صفحة أدبية ؟

ــ نعم يا سيدى وموعدها نهار الخميس٠٠٠

3 ـ وسألني صديق من سلك القضاة يوما ، وهـذا له مـاض في الحـركة الادبية والفنية لا بأس به :

ـ كيف حـال شقيقـك ؟

ـ بخير ، وهو قد اقتحم باب الانتاج الادبي ، فألف قصصـا نشـرت في مجلـة (الفكـر) .

ـ الفكر... ألا تـزال تصـدر ؟.

نحن لم نقل ان اطلاعكم على صحافة بلدكم وعلى حركتها الفكرية سواء فيما ينشر أو يذاع أو يقال في المحافل ، سيزيد في علمكم الكبير ، الذي أغناكـم عنا وعن شؤوننا الصغيرة ورفعكم الى مستوى لا تصل اليه يدنا القصيرة ولا تنظر اليه بصيرتنا العشواء .

ولكنكم تعتبرون لدينا أطباء واهل اختصاص مفروض فيكم أن تتعرفوا الى جميع احوالنا بقلوبكم وعقولكم وعلومكم ، لتنقذونا .

ونجاحكم حتى في خصوصياتكم يتوقف على معرفة المجتمع الذي تعيشـون فيه ، وهذا يحصل بمتابعة نبضاته...

فبعد أن عرفت وتطبعت وارتفعت الى التيارات الكبيرة وصـرت تفهمهـا تستمتع وتنتفع بمستوياتها الرفيعة...

هلم يا سيدي وتواضع لتستفيد أشياء سلبية تعرف بها مسارب الفـراغ الذي نرجوك أن تملاه ، والاعوجاج الذي ينتظر أن تقومه .

تـواضع.. تـواضع.. تكن كالبـدر .

• **أقـلام :**

«أقـلام» مجلـة ثقـافية جديدة تصدر بالمغـرب الاقصى الشقيق يديرها عبد الرحمان بن عمرو ويرأس تحريرها احمد السطاتي ومحمد ابراهيم بوعلو .

وهي ـ كما جاء في افتتاحية العدد الاول الذي أهدته أسرتها الى « الفكـر » مشكورة ، ـ «دعوة لجميع الاقلام الصادقة لتسهم في بناء ثقافة اصيلة» .

ونحن لا يسعنا الا الترحيب بالزميلة «أقـلام» راجين لها النجـاح وطول البقاء والله مع العاملين .

• **مخطـوط نـادر يـرى النـور :**

تحتضن مكتبة البودليان مخطوطا عربيا من أهم المخطوطات ، يتناول تاريخ المغرب والاندلس في العصور الوسطى ، وتعتبر هذه النسخة الموجودة هناك الوحيدة في العالم ويتعلق الامر بالمجلد الثاني من كتاب :
(تاريخ المـن بالامامة على المستضعفين)

للمؤرخ أبي مروان عبد الملك بن صاحب الصلاة (594 هـ 1181 م) ويـؤرخ هذا السفر لأوج دولة الموحدين المغربية ، وذلك طيلة اربع عشر سنة ، من عام 554 (1159 م) الى عام 569 (1173 م) .

وقد استفاد من (تاريخ ألمن بالامامة) جماعه من كبار المؤرخين للمغـرب

والاندلس من أمثال ابن الابار ، وابن عبد الملك المراكشي ، وابن عـذاري ، والجزنائي ، وابن أبي زرع ، وابن خلدون ، والمقري ، وابن الخطيب ، وصاحب الحلل الموشية وغير هؤلاء .

وقد أثار ذكره من قبل هؤلاء المؤرخين انتباه كبار المستشـرقين ورجـال البحث في العصر الحديث ، فوقفوا على بعض نصوصه ، وهكذا استفـاد منه المستشـرق الهـولاندي الشهيـر دوزي بيتيـر Dozy Pieter وكان يتمنى نشره... كما استفاد منه السادة : دافيد لوبيس David Lopes ، وكوديرا فرانسيسكو Codera Francisco ، وميشيل أمـاري Michel Amari الايطـالي ، ودكا يانكوس De Gayangos الانجليزي ، ومليتشور انطونيه Melchar Antuna وكارسيا كوميت Garcia Gomez ، وطريس بالبـاس Torres Balbas وويسي ميـرانـدا Huici Miranda الاسبـاني ، وغير هـؤلاء من المهتمين بالدراسات التاريخية .

ويزيد في قيمة المعلومات التي يعطيها ابن صاحب الصلاة انها صـادرة من مؤرخ عاش بنفسه تلك الفترات ، كما يزيد في قيمة الكتاب انه يضم طائفة من الآثار الادبية بما فيها الشعر والنثر مما لم يعـرف الى الآن ، كما يأتي على عدد مهم من عادات الموحدين ونظام حكمهم ، هذا ايضا الى الفوائد الجليلة التي استطرد بذكرها والتي كشف فيها النقـاب عن تفصيلات دقيقـة عن مبـاني الموحدين ذات الشهرة العالمية سواء في الاندلس أو المغرب .

وقد استخرج هذا الكتاب عن مخطوط اكسفورد وحققه وقـدم له ، وزوده بالفهارس اللازمة السيد : عبد الهادي التازي – سفير المغرب بالعرا ق – الذي قام برحلة خاصة الى اكسفورد والى الاسكوريال ، واستشار أكثـر من مـائتي مصدر ، فيها العربي وفيها غير العربي ، منها المطبوع والمخطوط ، والكتـاب الآن مائل للطبع ، وعما قريب سيكون في متناول الباحثين من رجال التـاريخ والآثـار والادب...

• أحببناها «بـاقـة» شاملة...

تعرض الأديب الناقد السيد عبد العزيز الرياحي في احدى حصص «عرض المجـلات» الاخيرة الى عدد «الفكر» الخاص بالشعـر والشعـراء ومما لاحظه ان «باقة» الشعر التونسي التي اشتمل عليها هذا العدد تنقصها نماذج من شعراء تونسيين معروفين وأسف من عدم توجيه «الفكر» الدعوة لجميع الشعراء في هذه البلاد كي يساهموا في هذا العدد الممتاز .

ونحن نأسف لذلك كما أسف ونغتنم هذه الفرصة لنطلع قراءنا الكرام على أننا وجهنا الدعوة الى جل الشعراء المعروفين بما نشر لهم من انتاج في الماضي القريب او البعيد أمثال الشاذلي عطاء الله واحمد اللغمـاني واحمد خير الدين وجلال الدين النقاش ومنور صمادح ومصطفى خريف وزبيدة بشير...

ونحن اذ نعذرهم جميعا لعدم تمكينهـم من الاستجـابة لدعوتنـا ونقـدر ظروفهم نرى من اللازم رفع اللوم عنا وتوضيح مـا جـاء في الافتتـاحية التي صدرنا بها هذا العدد الخاص .

وعلى كل فنحن نغتنم هذه الفرصة لنثني على مجهـود السيد عبـد العزيـز الريـاحي وخدمته للأدب التونسي بما يخص به مجلة «الفكر» من نقد وتحليل .

◆ الشاعر نزار قباني في تونس :

زار تونس فى غضون شهر ماى الشاعر السورى نزار قبانى وقد لاقى حفاوة كبيرة من الجمهور التونسى اذ خلبه بشعره وبالقائه الأخاذ وقد اتصلت به أسرة مجلتنا وعبرت له عن تقديرها لجهوده العظيمة فى سبيل تجديد الشعر العربى وهذه هى الكلمة التى ألقاها فى الأمسية الأولى :

أيها الأحباء :

يضرب قلبى للقياكم كما تضرب قلوب العصافير الصغيرة أول الصيف ۰ وفى عينى تتجمع الدموع كما تتجمع الغيوم الرماديه فى بدايات الشتاء ۰

انه موعدى الأول مع تونس۰۰۰ والمواعيد الأولى دائما تعذب۰۰۰ وتشعل فى القلب ألوف الحرائق۰۰۰

ربما تأخر موعدى مع تونس قليلا۰۰۰ولكن تونس كانت دائما فى عينى۰۰۰ وفى قلبى۰۰۰

وأنا شخصيا لم أكن بعيدا عن تونس ، فقد سبقتنى اليها قصائدى وحروفى ۰

أليس لقاء الحروف هو أطيب أنواع اللقاءات۰۰۰

انى أعرف أنكم تعرفوننى ۰ فالحرف هو الجسر القمرى الذى وصل دائما بين قلبى وبين أجفانكم۰۰۰

لا شىء أروع من الشعر !

انه ذلك العصفور الخلى الجناح الذى يدخل من كل النوافذ۰۰۰ ويعمر عشه الأخضر۰۰۰ حيث يشاء۰۰۰

لا شىء أروع من الشعر !

انه ذلك الساحر الذى يقلب النحاس۰۰۰ الى ذهب۰۰۰ ويحول حجارة الأرض الى زنابق۰۰۰

لا شىء أروع من الشعر !

أليس الشعر هو الذى هيأ لى مثل هذا الموعد المطيب معكم۰۰۰والذى أبيعه بمواعيد الدنيا۰۰۰

فألف شكر لوزارة الثقافة والارشاد التونسية على دعوتها الكريمة لى هذه الدعوة التى تؤكد أصالة تونس ووجهها العربى وتفانيها فى خدمة قضية الفكر۰۰۰ والكلمة الجميلة ان الذى يعبد الكلمة الجميلة۰۰۰ يعبد الله فى نفس الوقت۰۰۰

والذى نفسه بغير جمال
لا يرى فى الوجود شيئا جميلا

وهكذا أثبتتْ تونس جمال نفسها وأثبتم جمال أنفسكم ۰
وهكذا تتحول تونس أرضا وسماء وشعبا الى قصيدة شعر۰۰۰
وما أروع تلك النهاية!۰۰

• ندوة للمسرح بالنادى القومى النسائى :

قام النادى القومى النسائى بمجهود كبير فى حقل الثقافة والأدب والفن خلال هذه السنة ولقد اهتم فى غضون شهر ماى خاصة بالمسرح التونسي وأتاح الفرصة فى ندواته التى تكررت وطالت فى بعض الاحيان لكل من له رأى فى المسرح سواء من الهواة أو المحترفين واذا كان لهذه الندوات فضل فانما يتمثل فى غزارة ما قيل وفى كلمات المسؤولين عن حظوظ الثقافة فى البلاد وفى آراء من مارس هذا الفن عن بينة وروية • وأخيرا نهنىء النادى القومى النسائى لجهوده ونتمنى له التوفيق فى كل ما يقوم به من عمل •

• بيجما ليون... تمثل فى تونس :

فى الأسبوع الثانى من شهر ماى ، مثلت فى دار المسرح بتونس مسرحية توفيق الحكيم الممتازة (بيجما ليون) • وهذه هى المرة الثانية التى تمثل فيها (بيجما ليون) فى العالم العربى وقد سبق التفكير فى تقديمها بتونس قبل تمثيلها فى مصر منذ شهرين تقريبا • وقد أقدم على هذا العمل الخطير فرقة معهد مونفلورى للفتيات والعلوية فى نطاق نشاط الفرقة الفنية لثانوى العلوى (TALMA) • وشرع فى اعداد المسرحية منذ أول الموسم المدرسى باشراف الأستاذين توفيق عاشور وعز الدين القرواشى •

وحضرنا فى دار المسرح فابتهجنا بنجاح المسرحية التى أحجم عن اخراجها كبار الأخصاء لرفعة مستواها ، وكان سرورنا أكبر لأن المخرجين والممثلين جميعا ليسوا من محترفى المسرح • وهذا النجاح الكبير يجعلنا نتفاءل باقبال أبناء المدارس على هذا الفن الجميل وندعو المسؤولين الى التفكير فى تكوين فرقة مدرسية قارة •

وقد سألنا الأستاذين توفيق عاشور وعز الدين القرواشى عن الصعوبات التى اعترضتهما فى تقديم هذه المسرحية فأجابا :

أول مشكل هو الجمع بين الجنسين وتوأمة الثانويتين وقد ذلل منذ الموسم الفارط ـ أما الصعوبات التى اعترضت سبيلنا هذه السنة فتتعلق بفهم موضوع المسرحية وتأديتها ولقد استطعنا أن نتغلب عليها بفضل عمل اعدادى يتجلى فى :

1) دراسة الأساطير اليونانية التى استوحى منها الحكيم موضوع مسرحيته •
2) بسطة عن تاريخ المسرح العربى بوجه عام ومسرح الحكيم بوجه خاص •
3) دراسة مسرحية (بيجما ليون) كنموذج لمسرح الحكيم الذهنى أو التجريدى •
4) دراسة المسرحية دراسة مفصلة •
5) سعينا فى أن تكون المناظر مطابقة لموضوع المسرحية واطارها التاريخى والجدير أن هذه المناظر أنجزتها فرقة فنية تألفت من التلاميذ •

• كتاب كشف الغطاء عن حقائق التوحيد تحقيق الدكتور احمد بكير محمود :

هذه مخطوطة للحسين بن الاهدل اليمني يرد فيها على الفيلسوف ابن عربي المتصوف • ونحن نهنيء الدكتور على جهده المتواصل في اثراء المكتبة العربية وتحقيق المخطوطات التي لم تجد من يبرزها للناس رغم الصعوبات التي اعترضته وقد قال الناشر في المقدمة :

«واني أعرف أن للكتاب نسخا أخرى يوجد بعضها ببرلين واستنبول ولربما بدمشق ولكن من كانت وسائله محدودة وحيلته قليلة مثلي لا يستطيع أن يعمل أحسن من هذا••• فالى الذين لا يعملون ويؤذي أنفسهم أن يعمل الآخرون أن ينزلوا الى ميدان العمل ويتركوا استنقاص الناس جانبا ويعملوا ولو قليلا عندئذ سيرون ما يجابه الناشر والمؤلف من المشاكل المادية والمعنوية والفنية» •

مع الشباب حول العالم

• سيناكا سينانياك ، الطفل النابغة

سيناكا سينانياك فتى من سيلان يبلغ من العمر اثني عشر عاما، يداعبه أمل قوي هو أن يصبح بطلا في لعبة الكريكت، وهي من أهم الوان الرياضة التي تجتذب أهل سيلان. ان سيناكا يشبه في كلفه بالالعاب الرياضية، وحرصه على احراز قصب السبق فيها غيره من الفتيان الذين يحلمون في مختلف بقاع العالم بنيل بطولة المصارعة او بالفوز في سباق الدراجات في فرنسا او في انتزاع كأس بطولة العالم في كرة القدم، او بالحصول على المقام الاول في المباريات العالمية للبسبول. ولكنه يتميز عن أقرانه بشيء آخر الا وهو نبوغه في الرسم نبوغا جعل شهرته تطبق الآفاق، فقد قدمت لوحاته في اثني عشر معرضا بسيلان والولايات المتحدة والمانيا وبريطانيا العظمى، واسترعت الانتباه منذ عام 1959 بفضل عبقرية مؤلفها الفذة. ان سيناكا فنان حق، يجلس الى لوحاته بين جولتين من الكريكت، ويمسك بأدوات الرسم، ويمزج الالوان، ثم يسترسل في رسم لوحات كبيرة في روعة أخاذة ومهارة فائقة، ويتفتق ذهنه عن صور يستلهمها من حياة بلده او من الغابات التي تقطنها الحيوانات البرية. وتتسم هذه الصور بفهم عميق لفن معالجة الخطوط وانتقاء الالوان والتكوين الفني للوحات، ولهذا يعتقد الجميع عندما يشاهدون هذه الروائع لاول مرة انها من انتاج شخص كبير قطع فترة طويلة من حياته في دراسة فنون التصوير والتعرف على روائع الرسم.

ومن الغريب ان سيناكا لم يتردد يوما على أكاديمية للرسم، وكيف كان يتاح له ذلك وقد بدأ انتاجه الفني وهو في السادسة من عمره ؟ ان هذا النبوغ المبكر يكاد يكون حدثا فريدا في تاريخ التصوير الذي لم يحظ كالموسيقى والشعر، بعباقرة أطفال. واذا أمعنا النظر في الظروف التي نشأ فيها سيناكا لعرفنا انه ورث الشغف بهذا الفن عن أمه التي تعالج الرسم، بل وعن جدته التي تبلغ من العمر 96 عاما والتي اشتهرت في الماضي الى حد ما.

وينحدر سيناكا من أسرة معروفة فقد تولى عمه رئاسة الوزراء مرتين، كما أن عم أبيه هو السيد الشريف سينانياك الذي حقق لبلده الاستقلال، وكان اول رئيس لوزارة سيلان بعد استقلال هذا البلد. ولهذا شب الفتى في جو مشبع بحب الفن والفكر، ولكن نبوغه المبكر تجلى قبل اتجاهه نحو الرسم، فقد كان يقرأ ويكتب وهو في الثانية والنصف من عمره.

ولكن ما هي الظروف التي كشفت عن هواية سينانياك ؟ لقد كان تلميذا بالمدرسة الابتدائية الملكية في كولومبو، وكان اساتذة هذه المدرسة يهتمون بشكل خاص بالتربية الفنية، ويحرصون على تمرين التلاميذ على القيام برسوم جماعية من الحجم الكبير، وكان الاطفال يقسمون الى مجموعات مكونة من 4 او 5 تلاميذ تقوم كل مجموعة منها برسم قسم من اللوحة تستوحيه من زيارتها لحديقة الحيوان المحلية، او من الاحداث التاريخية، ولا تزال هذه اللوحات موجودة تشهد بالفارق العظيم بين مستوى سيناكا ومستوى اقرانه. وعندما لاحظ سيناكا وهو في السادسة من عمره الفارق الهائل بين ما تملكه لهذا الفن وعدم دراية زملائه به طلب من أمه ان تزوده في المنزل بالالوان وورق الرسم.

بدأ سيناكا يرسم الاكواريل (اللوحات المائية)، وقد عرضت له لاول مرة 40 لوحة منها في كولومبو سنة 1959، ثم انتقل بعد ذلك الى رسم اللوحات الزيتية، وفي شهر مارس الماضي، وبمناسبة عيد ميلاده، أتم سيناكا لوحته المائة. ان موهبة هذا الفنان الخصبة ما برحت تدهش الخبراء، فانتاجه يجمع بين الدراية والنضوج من جهة، والتلقائية والاصالة في التعبير من جهة اخرى، وقد لا يصل اكثر الفنانين حنكة الى براعة سيناكا في تنسيق الوان لوحاته وتنظيم حركتها الزخرفية، وكثيرا ما يظن المرء، عندما يتبين تنوع أسلوب سيناكا ومهارته الفائقة، انه قد تأثر بكبار الفنانين التأثيريين او بالفن اللاتشكيلي المعاصر او بالفن البيزنطي، ولكننا علمنا ان سيناكا لم يبد يوما ذرة من الاهتمام بزيارة المتاحف او بدراسة البومات المستنسخات، ويقال ان فان جوج اثار وحده فضول سيناكا فقرأ بنهم، خلال يومين، دراسة عن هذا الفنان الهولندي.

ان هذه العبقرية هبة من السماء، ولكن هل ستدوم لدى سيناكا ؟ وهل سيقدر على تنميتها ؟ لست أدري، ولكني أوقن انه لايهتم الآن بشهرته، رغم انها تزداد يوما بعد يوم على الصعيد الدولي (فقد عرضت له لوحتان في البينال السابع لسان باولو بالبرازيل)، ويحاول والداه ان يبعدا به عن الاضواء وعن فضول الجماهير، كما أنهم يعقدون النية على جعله يستمر في الدراسة شأنه في ذلك شأن الاطفال الذين في مثل سنه. اما سيناكا نفسه فهو يسترسل في أحلامه، ويحلو له ن يتخيل انه سيصبح يوما ما بطل سيلان في لعبة الكريكت.

(آراء اليونسكو)

• كتب الاطفال والتفاهم الدولى

انعقد وشيكا في بلدة فينا بالنمسا المؤتمر الثامن للاتحاد الدولى لكتب الشباب، وبحث موضوع كتب الاطفال وأثرها على التفاهم الدولى • وقد تناول المؤتمر بوجه خاص كيفية اعداد الكتب التى تخصص لاطفال البلاد الآخذة فى النمو، وكذلك طريقة تعريف شباب الامم الاخرى بهذه البلاد • وقد اعدت لهذه الغاية قائمة بالمؤلفات الملائمة وارسلت الى بعض المكتبات والمدارس ومنظمات الشباب • كذلك وضع الاتحاد الدولى لكتب الشباب مشروعا آخر يرمى الى انشاء « مكتبة عالمية » تشتمل على حوالى 300 كتيب، وتصدر على الاخص باللغتين الفرنسية والانجيزية •

(آراء اليونسكو)

• لجنة اليونسكو الوطنية اللبنانية تترجم الى العربية كتاب : العرقية أهلم العلم •

عهدت منظمة اليونسكو الى اللجنة اللبنانية للتربية والعلم والثقافة

بتعريب كتاب Le racisme devant la science وقد ظهرت الترجمة العربية لهذا الكتاب بعنوان « العرقية ازاء العلم » .

ويحوى هذا المؤلف مجموعة دراسات وضعت بناء على توجيهات أقرها مؤتمر اليونسكو العام سنة 1950 ، ثم عاد وأكدها فى كل دورة من دوراته اللاحقة ، وهى تنيط بسكرتارية المنظمة الدولية مهمة جمع معلومات علمية حول ما درجت العادة على تسميته « بالقضية العرقية » وتأمين أوسع انتشار ممكن للابحاث التى تعالج هذه المسألة .

وقد أسهم فى هذا الكتاب زمرة من علماء الانتروبولوجيا والانتوغرافيا والبيولوجيا والاجتماع ، وضمنوا بحوثهم موقف هذه العلوم ، على مختلف أنواعها ، من مسألة التعصب الجنسى ، وراعوا البساطة فى عرض افكارهم وبينوا فى جلاء تطور البحوث العلمية ازاء هذه القضية ، ولم يتحيزوا لمذهب خلقى معين ، ولم يسترسلوا وراء عواطفهم كما انهم لم يكتفوا بتحليل حجج خصومهم تحليلا دقيقا ، بل تعمقوا فى مبدا التعصب الجنسى والخرافات التى تغذيه وترعاه ، وسيلاحظ القارىء اختلافا فى وجهات النظر التى يعتنقها العلماء ، وهذا خير برهان على توخى هذا الكتاب الامانة والصدق وعدم مساسه باستقلال العلماء الفكرى .

وقد يقول قائل ان التعصب الجنسى شىء يخرج عن حدود المنطق ، ولهذا لن يستطيع العلم استئصاله أو محاربته ، ولكن من العبث أن نعتقد أن جهود العلم فى كشف ضلال العنصرية ستذهب أدراج الرياح ، ففى يد العلماء أن يمنعوا المتعصبين من اقامة نظام ظالم والادعاء ان هذا النظام شىء طبيعى لا جناح عليه . ان العلم لو تخاذل فى كشف اللثام عن أباطيل المتعصبين لترك الباب مفتوحا على مصراعيه أمام نوع معين من الصحافة لنشر الافكار الفاسدة والعقائد الزائفة الظالمة ، وقد يؤدى هذا الى رسوخ هذه الخرافات فتصبح أمرا وقعيا حقيقيا .

وعندما يختلط الباطل بالحق ، يستطيع العلم أن يبث انالاراجيف والترهات التى تقوم عليها العنصرية لا ترتكز الى أى أساس علمى

هذا وينقسم الكتاب الى قسمين ، يضم أولهما الابواب التالية :

الخرافات العلمية ،

العرق والمجتمع ،

العرق والحضارة

العرق والتاريخ ،

بينما يعالج القسم الثانى من الكتاب المسائل التالية :

العرق والبيولوجية ،

الفوارق العرقية ومغزاها ،

اختلاط الاعراق ،

(آراء اليونسكو)

• رجال الفكر فى بولونيا

جا ءفى جريدة « الموند » الباريزية ان رجال الفكر البولونيين يلاقون صعوبات بفرسوفيا بعد الحوادث التى جرت فى اكتوبر 1956 ومن بين الكتاب المشهورين الذين شملتهم هاته الحالة « أدام وازيك » الذى اصبحت مؤلفاته ممنوعة : فلا يسمح لاى نشرية او دار طباعة ان تنشر مقالا يحمل اسمه • والملاحظ ان هاته الاجراءات لم تطبق الا ضد الذين شاركوا بصفة مباشرة فى حوادث 1956 •

واذ لا تزال النشريات تصدر كأن لم يحدث شىء فلا يوجد ببولونيا هذا البلد الذى يعد 30 مليون نسمة سوى اربع جرائد اسبوعية ثقافية ونشريتان أدبيتان ولم تخصص ولو نشرية واحدة للشعر كما وقع التحديد فى عدد الطبعات للنشريات والكتب •

ان عدد الكتب الادبية المنشورة فى العام الماضى يبلغ 370 عنوانا وهى نفس الكمية الصادرة سنة 1913 حين كان الاميون لا يقل عددهم عن 50 %

ويوجد ببولونيا عدة ديار للطبع متخصصة ولكنها لا تنشر اى كتاب الا بعد مصادقة قسم النشر بوزارة الثقافة ، وهكذا فان المؤلف غير المحبوب او المرغوب فيه لا تنشر مؤلفاته •

اما الشعراء فهم اكثر من سواهم فى حالة يرثى لها ، فبينما يضم اتحاد الكتاب البولونيين 300 شاعر تقريبا (يضاف اليهم الشعراء الشبان) لا يصدر ببولونيا الاسبعون كتابا فى الشعر كل سنة ، وهكذا فان نشر كتيب صغير يتطلب انتظارا يدوم اربع او خمس سنوات على الاقل :

وبالاضافة الى ذلك فقد وقع التنقيص من ميزانية الاذاعة والتلفزة البولونية بنسبة 40% وكذلك الامر بالنسبة للمنح المخصصة للمسرح

ونتج عن هاته الاجراءات فقر نسبى فى عالم الفكر والفن فى بولونيا • واضطر عدد كبير من الصحفيين والكتاب والفنانين الذين حرموا من وسائل العيش ، الى البحث عن شغل جديد يمكنهم من لقمة العيش •